آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها

آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها

لأبي نصر الفارابي

قدّم له وبوّبه وشرحه

الدكتور علي بو ملحم

دار ومكتبة الهلال

مقدمة

يعتبر كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها» أهم مؤلفات الفارابي لسببين : أولا لأنه يمثل مرحلة النضج من حياته الفكرية ، إذ ألفه في شيخوخته وأودعه خلاصة ما انتهى إليه من نظرات وتأملات فلسفية. وثانيا : لأنه شامل يحتوي على مختلف نواحي فلسفته الميتافيزيقية والطبيعية والنفسية والاجتماعية والسياسية والخلقية.

ونظرا لتداخل هذه النواحي يمكن أن ندرسها وندرجها تحت العناوين التالية : الله ، العالم ، النفس ، الأخلاق ، الاجتماعات المدنية.

1 ـ الله :

يعرفه الفارابي بأنه الموجود الأول والسبب الأول لوجود سائر الموجودات ، كما عرفه أرسطو من قبل. ولا يهتم بذكر الأدلة على وجوده ، بل ينصرف إلى الكلام على صفاته باسهاب منطلقا من التحديد الذي أعطاه إياه.

تلك الصفات هي الكمال ، والسرمدية ، والوجود بالفعل ، وعدم وجود علة مادية أو صورية أو غائية أو فاعلية له ، وعدم وجود شبيه أو ضد له ، وعدم إمكان حده ، عدا الوحدانية والعلم والحكمة والحياة والحقيقة.

ويؤكد الفــارابي على أن الله لا يعلم ســوى ذاته كما قال أرسطو ، وهذا يعني أنه لا يعلم ما يجري في العــالم. ونحن لا نستطيع أن نعلمه لشــدة كماله وعظمته من جهة ، ولضعف عقولنا وملابستها المادة من جهة ثانية.

والله جميل ، ولا يعـــني جماله ســـوى كمالـــه. وهو مغتبط ملتذ لأن الغبطة واللذة تحصلان من إدراك الجمال ، والله يدرك ذاته فيغتبط ويلتذ بهذا الإدراك.

والأسـماء الـتي نسـبغها على الله يجب أن تـدل على كماله وليس على كمالاتنا نحن. إن أســماء الأشــياء تــدل على ماهياتها في ذاتها أو على ماهياتها بالإضـــــــافة إلى غيرها.

2 ـ العالم :

يتبـنى الفـارابي نظرية الفيض الأفلوطينية فيقـول إن وجــود الموجــودات لازم بالضــرورة عن وجــود الله ، وإن ذلك الوجود يتم بـالفيض والله لا يبتغي أية غاية من إيجـاد العــالم ، ولا يحتــاج الى آلة يســتعين بها في عملية خلق العالم ، ولا يقف في وجهه عائق يحول بينه وبين ما شاء.

تبدأ الموجودات الصادرة عنه بأكملها وجودا ثم يتلــوه ما هو أنقص منه قليلا ، ويســتمر الصــدور حــتى تنقطع الموجـــودات عن الوجـــود. وهي ترتبط ببعضـــها البعض ارتباطا تصير معه الأشياء كلها جملة واحدة. وما ترتبط به سواء كانت جواهرها أو تابعا لجواهرها مستفاد من الله.

يفيض عن الله ، أو العقل الأول ، العقل الثـاني ، وهو جوهر غير متجسم وليس في مادة ، يعقل الله فيلزم عنه عقل ثـالث مثله ، ويعقل ذاته فيلـزم عنه وجـود السـماء الأولى.

والعقل الثالث يعقل الله ويعقل ذاته ، فيلزم عن ذلك وجود العقل الرابع والسماء الأولى.

وتمضي العملية على هذا النحو حتى تنتهي الى العقل الحــادي عشر الــذي يـدعوه العقل الفعــال والى كـوكب القمر وهو الكوكب التاسع بعد السماء الأولى ،

والكـــواكب الثابتة أو زحل ، والمشـــتري ، والمـــريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد.

وعند العقل الحادي عشر أو العقل الفعال ، والكوكب التاسع أو القمر الـذي يقابله ، تنتهي سلسـلة الموجـودات السماوية عقولا وأجساما ، وتبدأ الموجودات الأرضية.

هذه الموجودات الأرضـية تبـدأ على عكس السـماوية بأقلها كمـالا وهي المـادة الأولى المشـتركة لجميعها أو الهيـولى ، وتـترقى في الكمـال إلى الاسطقسـات الأربعة أي التراب والمـاء والنـار والهـواء ، فالمعـادن ، فالنبـات ، فـالحيوان ، فالإنسـان أكمل الموجـودات الأرضـية. وجميع هذه الموجودات تتركب من جوهرين هما المادة والصـورة كما ذهب أرسطو ، وهي تنتقل من القـوة الى الفعل على خلاف السـماوية الـتي لا توجد الا بالفعل ، وهي عرضة للكـون والفسـاد على عكس السـماوية الـتي لا يعروها الفساد أبدا. وهو يعني الوجود بالقوة المادة الـتي لم تتخذ صورة الشيء ، ويعني الوجود بالفعل الشيء الحاصل من اتحاد الصورة بالمادة.

ويفهم من كلام الفارابي أن الموجودات الأرضية تلزم عن الموجودات السماوية. فالمادة الأولى المشتركة تلزم عن الطبيعة المشـتركة للسـماوية ، والصـور المتضـادة للأجسـام الأرضـية تلـزم عن تضـاد نسب السـماوية وإضـافاتها ، ووجـود أجسـام كثـيرة مختلفة الجـواهر على الأرض يلزم عن اختلاف جواهر السـماوية. وتبـدل الصـور المتضـادة على المـادة الأولى أو الهيـولى يلـزم عن تبـدل متضادات النسب وتعاقبها على الموجـودات السـماوية ... الخ.

ويمضي الفـارابي في مقارنة الأجسـام السـماوية والأجسـام الأرضـية فـيرى أن السـماوية تشـبه الأرضـية الهيولانية لأنها تـتركب مثلها من مـادة وصـورة. وصـورتها عقل بالفعل. بيد أن الجسم السـماوي أفضل من الأرضي بشـكله الكـروي ، وبكيفياته الضـوئية ، وبحركته الدورية وبوجوده بالفعل منذ الأزل.

والأجسام السماوية تفارق الثـواني في أنها متحركة ، والحركة دليل نقص. وحركات الأجسـام السـماوية تختلف في السرعة والاتجاه والطبيعة.

3 ـ النفس :

لم يعن الفــارابي في كتابه هــذا بتحديد النفس ، ولا بإثبــات وجودها ، وإنما اهتم بــالكلام على قواها الخمس الـــــتي ذكرها أرســــطو من قبل أي الغاذية والحاسة والمتخيلة والنزوعية والناطقة.

الغاذية يرأســها القلب وتخــدمها رواضع هي الكبد والمعدة والطحال والمرارة والكليتان والمثانة.

والحاسة يرأســها القلب أيضا وتخــدمها رواضع هي الحــواس الخمس : العينــان والأذنــان والأنف واللســان والجلد. وهي تمد القلب بأخبار العالم الخــارجي ، كما يمد رجال المخابرات الملك بأخبار مملكته.

والمتخيلة مركزها القلب كــذلك ولكن لا رواضع لهــا. وهي تحفظ صــور المحسوســات بعد غيبتها عن الحس ، وتركب منها تركيبات جديدة مختلفة.

والناطقة كالمتخيلة ليس لها رواضع ومركزها القلب ، ولكنها ترأس القوى الغاذية والحاسة والمتخيلة.

أما النزوعية فهي الـتي تعـرف بـالارادة. والارادة هي نـزوع إلى الشـيء الـذي أدركنـاه بـالحس أو المتخيلة أو الناطقة وحكم بأخــذه أو تركه أو في عمله أو علمــه. والأعضــاء المنفــذة لما تقــرره الارادة هي الأعصــاب والعضلات واليدان والرجلان وسـائر أعضـاء الحركة ، هـذا إذا كان الأمر فعلا. أما إذا كان ما تنزع إليه علما بشيء ما ، فإن القوة الناطقة هي التي تتولى التنفيذ وذلك بإعمــال الفكر والتأمل والاستنباط.

وإذا كان ما نريده شـيئا غـير موجـود بـادرت المتخيلة تصور الشـيء الـذي يـرجى ويتوقع أو تصـور الماضي ، أو تـركب الشـيء الـذي نتمنـاه. وهكـذا تعتـبر سـائر القـوى خادمة للنزوعية.

وقوى النفس متراتبة بعضها أشــرف من بعض؛ أدناها الغاذية وأشـــرف منها الحاسة فالمتخيلة فالناطقـــة. أما النزوعية فتابعة لها جميعــا. والــدنيا شــبه مــادة للعليا ، والعليا شبه صورة للدنيا.

وكذلك الحال في أعضــاء الجسم ، إنها متراتبة أعلاها القلب وأدنى منه بقليل الـدماغ فالكبد فالطحـال فأعضـاء التوليد.

والقلب مركز جميع قـــوى النفس ، وينبـــوع الـــروح الحيوانية أو الحـرارة الغريزيـة. وبـذا يمـيز الفـارابي بين الروح والنفس.

والدماغ يعدل الحـرارة الغريزية ، وينقل الاحساسـات التي في الخارج بواسطة الحواس الخمس والأعصاب الى أعضـــاء الحركـــة. وهو يخـــدم القلب عند ما يفكر ويتخيل ويحفظ ويتــذكر ، بــأن يعــدل حرارتــه. ومن هنا اقتضت الحكمة أن تكون مغـارز الأعصـاب في الـدماغ وليس في القلب.

أما القـــوة المولـــدة فمركزها القلب أيضا وخـــدمها أعضاء التوليد عند كل من الـذكر والأنـثى. والمـرأة تعطي مــادة الجــنين وهي دم الــرحم ، والرجل يعطي صـــورة الجنين الموجودة في المـني ، والمـني يتكـون في عـروق الأنثيين ويصب في الرحم ويمنح الدم صورة الجنين. وأول ما يتكـون في الجـنين القلب ، واذا حصـلت في الجـنين ، عند تكــون الغاذية ، القــوة الــتي تعد مــادة الجــنين كــان الجنين أنثى ، واذا حصلت فيه القوة الـتي تعطي الصـورة جاء الجنين ذكرا.

والمرأة والرجل لا يختلفـان إلا بأعضــاء التوليد ، وفي كون الرجل أقوى جسما وأقسى قلبا. وهما يشـتركان في قـوى النفس وفي سـائر الأعضـاء ، ولا يوجد فـرق بينهما في قوى الاحساس أو التخيل أو العقل.

ويولي الفارابي القوة الناطقة والقــوة المتخيلة أهمية قصـــــــــوى ، فبهما تتم المعرفة ، وعلى المتخيلة تعتمد الأحلام والنبوة.

فالناطقة تتلقى رســـوم المعقـــولات ، والمعقـــولات تكــون بــالقوة كــالعقول المفارقة ، أو بالفعل كالأجســام الطبيعية ، والعقل البشري هو «هيئة ما في مادة

معدة لأن تقبل رسوم المعقولات ، فهي عقل بـالقوة ، أو عقل هيولاني» وهي لا تصير عقلا بالفعل من تلقاء نفسـها ، بل تحتـاج إلى شـيء ينقلها من القـوة إلى الفعل هو العقل الفعـال ، وتصـير عقلا بالفعل عند ما تحصل فيها المعقولات.

والعقل الفعال جوهر مفارق للمـادة موجـود في فلك القمر ، وهو آخر العقـول الثـواني ، ويحتل المرتبة الحادية عشـرة بعد العقل الأول أو اللـه. وهو الـذي يجعل العقل الهيـولاني الانسـاني عقلا بالفعل ، ويجعل المعقـولات ، التي هي معقولات بالقوة ، معقولات بالفعل.

إنه يمنح القوة الناطقة شيئا منزلته منزلة الضـوء في البصر ، وحينئذ تحصل في القوة الناطقة المعقولات الأول المشتركة عند جميع النـاس مثل الكل أعظم من الجـزء ، والكميتان المساويتان لكمية ثالثة متساويتان.

ويتحـول العقل بالفعل إلى عقل مسـتفاد اذا حصل على المعقولات جميعا. وهكـذا يمـيز الفـارابي ثلاثة أنـواع من العقل عند الانسـان هي العقل الهيـولاني أو بـالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد.

والعقل المسـتفاد يتصل بالعقل الفعـال ويتلقى منه المعرفة.

أما المتخيلة فتضـطلع بثلاث مهـام هي حفظ رسـوم المحسوسات ، وتركيبها بعضها الى بعض ، والمحاكاة.

وتعـني المحاكـاة تمثيل ما لـدى القـوى الأخـرى بما يشابهها من صـور المحسوسـات المحفوظة عنـدها ، ذلك أن المتخيلة لا تقبل الأشـياء الوافـدة اليها من تلك القـوى كما هي ، بل تحاكيها بالمحسوسـات المخزونة فيهـا. وهي تفعل ذلك عند ما تنعتق من سـلطان الحاسة والناطقة أثناء النوم فتحدث الأحلام.

انها تحاكي مزاج البدن. فإذا كـان مزاجه رطبا حـاكت المخيلة تلك الرطوبة بـتركيب المحسوسـات المحاكية للرطوبة مثل المياه والسباحة فيرى النائم أنه يسبح ويرى مجرى ماء أو بركة ماء ... الخ.

وهي تحاكي المحسوسـات الخارجية المحيطة بالنـائم بالمحسوسات المختزنة لديها.

وتحاكي ما في القوة النزوعية من انفعالات وشهوات بأفعال جسدية كالنكاح والصراخ والضرب والهرب.

وتحاكي المعقـولات الـتي حصـلت في القـوة الناطقة مثل الله والملائكة والسماء بأحس المحسوسـات وأكملها وأجملها.

وكما قدم الفارابي تفسيرا للأحلام قـدم أيضا تفسـيرا للنبوة ، فقال إنه باستطاعة المتخيلة إذا بلغت شـأوا عاليا من القوة والكمـال أن تتخلص من ربقة الحاسة والناطقة والنزوعية ، وأن تنطلق للاتصـال بالعقل الفعـال ، وتلقي الجزئيات والمعقولات منه أثناء اليقظة دون روية. وتحاكي ما يعطيه إياها العقل الفعـال بما يشـبهه من رسـوم المحسوسات المرئية المختزنة عندها.

وتنتقل هـذه الرسـوم إلى الحاسة المشـتركة ثم إلى القوة الباصرة أو العين فترتسم في الهـواء ، وبعدئذ يعـود ما ارتسم في الهـواء فيرتسم في العين وينعكس من ثم إلى الحس المشترك ، وينتقل إلى المتخيلة.

فاذا كـان ما يعطيه العقل الفعـال للمتخيلة معقـولات شـريفة وكـانت تمثيلاتها في المتخيلة في نهاية الجمـال والكمال قال الذي يراها إن له نبوة بالأشياء الإلهية. وهذه هي أسـمى المـراتب الـتي تبلغها المتخيلة وهي رتبة الأنبياء.

والنـاس يتفـاوتون في قـوة متخيلتهم وقـدرتها على قبـول ما يفيض عليها من العقل الفعـال. فمنهم من يـرى هـذا في نومه ، ومنهم من يراها في يقظته ، ومنهم من يـرى الجزئيـات دون المعقـولات ، ومنهم من يـرى المعقولات دون الجزئيات.

وقد تفسد المتخيلة أو تمرض فتركب أشـياء ليس لها وجود أبدا ، وليست محاكـاة لموجـود ، كما هو الحـال عند الممرورين والمجانين.

4 ـ الأخلاق :

يعرج الفـارابي على الأخلاق ولا يتوقف عنـدها طـويلا بعد أن يحدد مبادئها من ارادة وسعادة وخير وشر وفضيلة ورذيلة باقتضاب شديد.

وهو يميز تمييزا دقيقا بين الارادة والاختيار ، فـالارادة هي نـــزوع إلى ما ندركه عن الاحســـاس والتخيل ، أما الاختيار فهو نزوع عما ندركه عن روية ونطق.

أما الســعادة فهي الخـــير المطلــوب لذاته ، وليس وراءه خـــير أســـمى منه وأبعد منه ، وهي الغاية الـــتي ينشـدها كل إنسـان ونحصل عليها بالمعرفة أو باسـتكمال عقلنا بالمعقولات كما قال أرسـطو. ففي هـذا الاسـتكمال تغـدو النفس بريئة من المـادة ، كما نحصل عليها بأفعـال إرادية محدودة وجميلة تدعى الفضائل.

والفضـائل ليست سـوى خـيرات جزئية تمهد لبلــوغ الخير الأعلى أو السعادة.

أما الشر فهو كل عمل يعـــوق عن الســـعادة ، إنه الفعل القبيح. وتدعى الهيئات والملكـات الـتي تصـدر عنها الأفعال الشريرة الرذائل والخسائس.

وتتحقق السعادة اذا أدركت بالعقل ، وتشوفت بالقوة النزوعية ، وفعل ما ينبغي أن يفعل بآلات النزوعية.

5 ـ الاجتماعات المدنية :

خصص الفـــارابي النصف الثـــاني من كتابه لبحث الناحية الاجتماعيـة. وهو يـذهب الى أن أسـاس الاجتمـاع الحاجة الفطرية. ذلك أن المرء لا يستطيع أن يوفر لنفسه بمفـرده حاجاته العديـدة الى المأكل والملبس والمـأوى والأمن ... الخ ، فيضـطر الى التعـاون مع جماعة من بـني جلدته لتـأمين ذلك فينشأ المجتمع الـذي يتـألف من أفـراد عديدين.

وهو يقسم الاجتماعات الى فئـتين : اجتماعـات كاملة واجتماعـــات ناقصـــة. ويقسم الكاملة الى ثلاثة : عظمى ووسطى وصغرى. فالعظمى تشمل جميع سكان الأرض ، والوسـطى تشـمل الأمة ، والصـغرى تشـمل المدينة ، أما الناقصة فهي القرية الـــتي تتبع المدينة ، والناحية (قسم من المدينـــة) ، والســكة (قسم من الناحيـــة) ، والمــنزل (قسم من السكة).

وهو يعتــبر المدينة أصــغر اجتمـــاع يمكن أن يـــوفر السعادة لأفراده والمدينة الفاضلة هي الـتي يتعـاون أهلها لنيل السعادة ، وكـذلك الأمة والمعمـورة. فالأمة الفاضـلة هي التي يتعاون أهلها لنيل السعادة ، والمعمورة الفاضـلة هي التي يتعاون أهلها لنيل السعادة.

ويشبه الفارابي المدينة الفاضلة بالبدن التام الصـحيح ، فهي تـــتركب مثله من أجـــزاء مختلفة الفطر متفاوتة الهيئـــات ، فيها رئيس وطبقـــات تتـــدرج في الأهمية والشرف.

ولكنه يميز بين المدينة والبـدن في أن أعضـاء البـدن طبيعية وتعمل بشكل طـبيعي ، بينما أجـزاء المدينة ، وان كانوا طبيعيين ، يعملون بالملكات الارادية أو الصناعات.

ويتكلم الفارابي باسهاب على رئيس المدينة الفاضـلة ، فيراه أكمل أجزاء المدينة كالقلب في البدن ، ويـرى أنه يكــون أولا ويؤسس المدينة كما أن القلب يكــون أولا في البدن. وتليه في الشـرف طبقة من أهل المدينة تسـاعده في الحكم ، وأدنى منها طبقة تخدم الأولى وتخدمها طبقة ثالثة ، حتى تنتهي الى طبقة تخـدم ولا تخـدم. ويـرى أيضا أن ترتيب المدينة يشبه ترتيب العالم ، ورئيسها يشبه الله ، وأجزاءها تحتذي حذو مقصد الرئيس على الترتيب.

أما مــؤهلات الــرئيس فملكــات فطرية وارادية ، ولا تتـوافر هـذه الملكـات في أي إنسـان اتفق ، لأن الـرئيس انسـان اسـتكمل عقله ومتخيلتـه. والعقل المسـتكمل هو العقل المستفاد ، والعقل المستفاد هو العقل الـذي حصل على جميع المعقولات. ومتى غدا العقل مستفادا اسـتطاع أن يتصل بالعقل الفعـال ، وأصـبح فيلسـوفا. أما المخيلة المستكملة فهي المخيلة القوية التي تخلصت من سيطرة الحاسة والناطقة ، والـــتي تســـتطيع أن تتصل بالعقل الفعال في اليقظة ، وتستمد منه الجزئيـات والمعقـولات. وهذه هي مرتبه الأنبياء.

وهذا يعني أن رئيس المدينة الفاضلة يكـون فيلسـوفا أو نبيا ، وأن النــبي والفيلســوف يتســاويان في المنزلة والفضل ، ويصلحان لرئاسة المدينة الفاضلة.

عدا الكمال العقلي أو كمال المتخيلة ينبغي أن تتوافر في الـرئيس الأول اثنتا عشـرة خصـلة هي تمـام الأعضـاء وجودة الفهم وجـودة الحفظ والـذكاء والبلاغة وحب العلم والعفة والصدق والإباء والكرم والعدالة والشجاعة.

أما الرئيس الثاني الـذي يخلف الأول فيمكن الاكتفـاء فيه بست خصـال فقط اذا اسـتحال تـوافر الاثـني عشـرة المذكورة عدا الحكمة ، وهي الحكمة وحفظ الشرائع التي سـنها سـلفه ، والقـدرة على احتـذاء من سـبقه في سن الشرائع ، والقدرة على استنباط شرائع لا يحذو فيها حـذو من سلفه ، وإرشـاد النـاس الى الشـرائع ، والقـدرة على الحرب

واذا لم تجتمع هــــذه الخصــــال الست في واحد ، وتفرقت في اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة كانوا هم الرؤساء الأفاضل مجتمعين.

واذا كـانت السـعادة تقـوم بالمعرفة ، فـان المعرفة الـتي ينبغي أن يحصـلها أهل المدينة الفاضـلة هي الـتي انطـــوى عليها كتــــاب «آراء أهل المدينة الفاضــــلة ومضاداتها» من ألفه إلى يائه ، بدءا با لله وصفاته وانتهـاء بـآراء أهل المـدن المضـادة ، مـرورا بـالثواني ، والعقل الفعال ، والأجسام السماوية والأرضية ، والانسـان وقـواه وتركيبه الجسـمي ، ورئيس المدينة الفاضـلة وشـروطه ، والمدن المضادة وآراء أهلها.

وهم يدركون هذه المعلومات بطريقـتين هما البرهـان والمحاكــاة. والبرهــان الــذي هو طريقة الحكمــاء يفضل المحاكاة الـتي هي طريقة العامـة. ذلك أن البرهـان ليس عرضة للمعانـــدة ، بعكس المحاكـــاة الـــتي تكـــثر فيها المعانـدة. والمعانـدون أصـناف ، منهم المسترشد المقلد للحكمـــاء ، ومنهم القاصد الى تزييف الحقـــائق من أهل المــدن الجاهلة ، ومنهم السـيّئ الفهم العـاجز عن ادراك الحقـائق ، ومنهم الشـاك الـذي يـزعم اسـتحالة معرفة الحقيقة.

ان مصــير أهل المدينة الفاضــلة بعد المــوت الخلاص والسعادة. ان أبدانهم تبطل ولكن نفوسهم تخلص وتسـعد وتتصل فيما بينها وتتلاقى وتلتذ على جهة اتصــال معقــول لمعقول ، وبذلك تزداد سعادتها على مر الأجيال والأزمان.

عــدا المدينة الفاضــلة يوجد أربعة أنــواع من المــدن المضادة لها هي الجاهلة والفاسقة والمتبدلة والضالة.

«فالمدينة الجاهلة هي التي لم يعـرف أهلها السـعادة ولا خطرت لهم ، وان أرشدوا اليها لم يفهموها». ومن هنا اشتق اسمها أي من الجهل بالسعادة ، وقد ظنوا السعادة قائمة بأشــــياء وهمية مثل الغــــنى واللــــذات والحرية والكرامــة. ومن ثم كــانت أصــناف المدينة الجاهلة ســتة حسب الغاية الـتي اعتمـدوها في حيـاتهم. فهنـاك المدينة الجاهلة الضــرورية الـتي اقتصر أهلها على الضــروري من المأكول والملبوس والمشروب والمسكون والمنكوح.

وهناك المدينة الجاهلة البدالة التي جعل أهلها غـايتهم جمع الثروة.

وهنـاك المدينة الجاهلة الخسيسة أو السـاقطة الـتي اعتقد أهلها السعادة في اللذة واللهو.

وثمة المدينة الجاهلة الكرامية الــــتي قصد أهلها الى العظمة والشهرة والكرامة.

وثمة المدينة الجاهلة المتغلبة الــــتي اتجه أهلها الى التغلب على ســــواهم وقهر ســــائر المــــدن وإخضــــاعها لسلطتهم.

وأخيرا هناك المدينة الجاهلة الجماعية التي أولع أهلها بالحرية فهاموا بها واعتبروها منتهى خيرهم.

والنــوع الثــاني من المــدن المضــادة يــدعى المدينة الفاســقة. وهي المدينة الـتي يعــرف أهلها ما يعرفه أهل المدينة الفاضــلة ، ولكن أفعــالهم هي أفعــال أهل المدينة الجاهلة.

والنوع الثالث من المدن المضـادة هو المدينة المبدلة ، وقد دعيت بهذا الاسم لأن آراء أهلها وأفعالهم كـانت في الماضي آراء وأفعــال أهل المدينة الفاضــلة ، ولكنها الآن تبدلت وحلت مكانها آراء وأفعال مغايرة.

وأخـيرا نصل الى النـوع الرابع من المـدن المضـادة ، أي المدينة الضــالة. وهي الــتي تعتقد في الله والثــواني والسـعادة ... الخ اعتقـادات فاسـدة ويتـوهم رئيسـها أنه أوحي اليه ويلجأ الى التمويه والخداع.

ومصير أهل المدن المضادة بائس يــتراوح بين الهلاك والشـقاء. فأهل المـدن الجاهلة تنحل نفوسـهم الى صـور الاسطقســات الأربع ، ويصــيرون الى العــدم كالبهــائم والأفاعي ويهلكون.

ونفـوس أهل المـدن الفاسـقة لا تغـنى بفضل الآراء الفاضلة التي اكتسبتها وإنما تشقى بـالآلام بسـبب أفعالها الرديئة.

ومصـير أهل المـدن الضـالة الهلاك والاضـمحلال مثل أهل المدينة الجاهلة ، أما رئيسـهم فمصـيره الى الشـقاء كأهل المدن الفاسقة.

ومصير أهل المدينة المبدلة الهلاك ، ومصير رئيســهم الشقاء.

ويعرض الفارابي آراء ومعتقدات أهل المدن المضادة وأهمها ظنهم أن الموجودات متضادة تتغالب على الوجـود وينتصر الأتم وجـودا والأقـوى ، ويهلك الأضـعف أو يخضع للأقـوى. وقـانون الصـراع هـذا مطبق على البشر أفـرادا ومجتمعـات. فإنه لا تحـاب ولا ارتبـاط بينهم لا بـالطبع ولا بــالارادة ، وشــريعة الغــاب هي الســائدة : القــوي يقهر الضعيف فيقتله أو يسخره لخدمته ، إنه الداء السبعي.

واذا قــام مجتمع فإنما يقــوم إمّا على القهر أو على القرابة ، أو على التعاهد ، أو على تشــابه الخلق والشــيم واللغة ، أو على الاشتراك في الموطن الواحد.

وعلاقــات الأمم تقــوم مثل علاقــات الأفــراد على التغالب والقهر. ولكنها تستحيل الى علاقـات مسـالمة اذا تعادلت قواها ، والى علاقات تحالف اذا ظهر عدد مشترك ، والى علاقـــــــــات معاملة ومخاتلة اذا أمنت المعاملة مصالحها في الهيمنة والكسب.

بيد أن الفــارابي يــورد رأيا مغــايرا ، يــذهب الى أن قانون التغالب لا يوجد إلاّ بين الأنواع المختلفة ، أما ضمن النــوع الواحد فيســود قــانون آخر هو قــانون التســالم. وبالنسبة للناس هناك رباط يجمعهم هو انتماؤهم الى نـوع واحد هو الانسـانية. ولـذا ينبغي أن يتسـالموا فيما بينهم ، ويتكاتفوا على مغالبة سائر الأنـواع. واذا وجـدت أمة تبغي التغالب يحق للأمم الأخرى ردعها عن غيها بواسـطة قـوة تعدها لهذا الهدف.

كما يورد في النهاية رأيا آخر مغـايرا لقـانون الصـراع والتغالب ذا نزعة صوفية ، يذهب الى أنّ السعادة لا تدرك في هذه الحياة الدنيا ، بل في الآخرة. ولذا يجــدر التخلص من الوجود الدنيوي باماتة البـدن ، والرغبة عن الشـهوات والملذات ، وكبت الغضب ونزعة التغلب.

* * *

والخلاصة أن الفــارابي حــاول رسم صــورة شــاملة للعالم ، عـالم يفيض عن إله متسـام عليه لا يعقله يتكـون من قسمين : سـماوي وأرضـي؛ القسم السـماوي يتـألف من تسـعة أفلاك وعشـرة عقـول مفارقة دعاها الثـواني ، وكل منها ـ عدا أولها الذي يأتي مباشـرة بعد الله ــ يقابله فلك يعتبر مقرا له. ودعا العقل الأخـير الـذي يقابل القمر بالعقل الفعـــال ، وخصه بمهمة العناية بالعقل الانســـاني ونقله من القوة الى الفعل.

أما القسم الأرضي من العــــالم فهو الأرض وما عليها من كائنات وهي كلها

تـتركب من مـادة مشـتركة وصـور متضـادة تختلف عليها فتكـون الأجسـام وتفسـد. وهـذه الكائنـات الأرضـية هي الاسطقســـات الأربعة والمعـــادن والنبـــات والحيـــوان والانسان.

وفي هـاتين النـاحيتين الميتافيزيقية والطبيعية يعكس الفارابي فلسفة أرسطو. وتبنى نظرية أفلـوطين الفيضـية لتفسير صدور العالم عن الله. كما يقتفي أثر أرسـطو في كلامه على النفس وقواها والجسم وتركيبــه. ولكنه يــأتي بـآراء طريفة عند ما يتحـدث عن المتخيلة فيجعل لها دورا معرفيا ودورا تمثيليا الى جــــانب دورها في حفظ صـــــور المحسوســات وتركيبهــا. وبنــاء على هــذا الــدور يقــدم الفارابي تفسيرا قيما للأحلام والنبوة. الدور المعرفي يبدو في اتصــال المتخيلة بالعقل الفعــال وتلقّي المعرفة منه ، وهي لا تقـوم بهـذا الـدور الا اذا بلغت شـأوا من الكمـال والقوة لا نقع عليه الا عند الأنبياء.

أما دور المحاكــاة الــذي يعــني قــدرة المتخيلة على تمثيل ما عند قـوى النفس الأخـرى بالصـور الـتي اختزنتها فهو سر الأحلام. وبذا يكـون الفـارابي متقـدما على فرويد في هذا المجال ، أي تفسير الأحلام تفسيرا علميا.

ان فلسفة الفارابي الميتافيزيقية والطبيعية التي حـذا فيها حـــذو أرســطو عرضـــته كما عرضت أرســطو للنقد الشــديد من جــانب المتكلمين المســلمين قــديما والعلم الحديث في أوروبا.

أما في الناحية الاجتماعية فـنرى الفـارابي ينـأى عن أرسـطو ويقـترب من أفلاطـون فهو مثله يبـني الاجتمـاع الانســاني على أســاس الحاجة الى التعــاون بين الأفــراد لسد متطلبــات الحيــاة المختلفــة. وهو مثله يفــرض في رئيس المدينة الفاضـــلة الشـــروط ذاتها الـــتي أوردها أفلاطون في رئيس الجمهورية ، ويوجب أن يكون الرئيس فيلسوفا. ولكن الفـارابي ــ متـأثرا بالبيئة الاسـلامية الـتي عـاش فيها ــ قـال إن الـرئيس يمكن أن يكـون نبيا أيضا ، لأن النبي يشبه الفيلسوف في المسـتوى المعـرفي ، فهو مثله يتصل بالعقل الفعـــــال ويســـــتمد منه العلم ولكن بواسطة متخيلته وليس

بواسطة عقله كالفيلسوف. وهو مثله يعالج موضــوع دولة المدينة التي كـانت سـائدة في عصر أفلاطـون ، وتخطاها الـزمن في عصر الفـارابي عند ما نشـأت دولة الأمة ، بل دولة الامبراطورية.

أما الآراء التي نسبها الى أهل المدن المضادة فعزاها الى فلاســـفة يونـــانيين آخـــرين ذكر منهم انبـــدقليس وبرمانيـــدس ، ويمكن اضـــافة اثـــنين اليهما هما أبيقـــور صاحب نظرية اللذة وبـيرون صـاحب مـذهب الشـك. وقد حمل حملة شعواء على نظرية التنـازع والتغـالب وسـيادة منطق القوة بين الأفراد والدول وهو المبدأ الـذي اعتمـده كل من داروين الفيلسوف الانكليزي ، ونيتشه الفيلســوف الألمـاني في القـرن الماضـي. وربما كـان الفـارابي مثاليا أكـثر من اللازم لأن الواقع الانســاني قــديما وحــديثا يؤيد نظرية التغالب ومنطق القوة.

ولا بد من القــول في ختــام هــذه المقدمة إن كتــاب «آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها» قد طبع مرارا وله عدة مخطوطات. وأهم طبعاته طبعة ليدن ســنة 1895 م ، والقـاهرة سـنة 1905 م ، 1906 م ، 1948 م ، 1961 م ، وطبعة بيروت سنة 1959 م ، 1968 م.

وأهم المخطوطـــــات الباقية والمعروفة للكتـــــاب مخطوطة المكتبة الأزهرية رقم 24868 ، ومخطوطة السـليمانية رقم 674 ، ومخطوطة المتحف البريطـاني رقم 7518 ddA ، ومخطوطة دانشگاه رقم 2110 / 2 ، 2575 / 4 ... الخ.

وقد اقتصر عملنا على تقديم الكتاب وتبويبه وشــرحه وتصحيح بعض الأخطاء.

بيروت في 1 / 5 / 1994
علي بو ملحم

اختصار الأبواب التي في كتاب «المدينة الفاضلة»

تأليف أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان

ابن اوزلغ الفارابي التركي

1 ـ القـول في الشـيء الـذي ينبغي أن يعتقد فيه أنه هو اللّه تعـــــــالى ، ما هو ، وكيف هو ، وبما ذا ينبغي أن يوصف ، وبـأي وجه هو سـبب سـائر الموجـودات ، وكيف تحدث عنه ، وكيف يفعلها ، وكيف هي مرتبطة به ، وكيف يعرف ويعقل ، وبأي الأسـماء ينبغي أن يسـمى ، وعلى ما ذا ينبغي أن يدل منه بتلك الأسماء؟

2 ـ القول في الموجـودات الـتي ينبغي أن يعتقد فيها أنها هي الملائكة ، ما هو كل واحد منها ، وكيف هو ، وكيف حدوثه ومرتبته منه ، وما مراتب بعضـها من بعض ، وما ذا يحـــدث عن كل واحد منها ، كيف هو ســـبب لكل واحد مما يحدث عنه ، وفي ما ذا تدبيره ، وكيف تــدبيره ، وان كل واحد منها هو ســـــبب جسم ما من الأجســـــام السماوية ، واليه تدبير ذلك الجسم.

3 ـ القول في جمل الأجسام السـماوية ، وأن واحـدة واحدة منها مرتبطة

بواحد واحد من الثــواني ، وأن كل واحد من الثــواني اليه تدبير الجسم السماوي المرتبط به.

4 ـ القـول في الأجسـام الـتي تحت السـماوات وهي الأجسـام الهيولانية ، كيف وجودها ، وكم هي في الجملة ، وبما ذا يتجوهر كل واحد ، وبما ذا يفارق الموجودات الـتي سلف ذكرها.

5 ـ القول في المادة والصــورة ، ما كل واحد منهما ، وهما اللتــان بهما يتجــوهر الأجســام ، وما رتبة كل واحد منهما من الأخرى ، وما هذه الأجسام الـتي تتجـوهر بهما ، وأي وجـــود يحصل لكل واحد منها بالمـــادة ، وأي وجـــود يحصل له بالصورة.

6 ـ القـــــــول في كيفية ما ينبغي أن يوصف به الموجودات التي ينبغي أن يقال إنها هي الملائكة.

7 ـ القـــول بما ذا ينبغي أن يوصف به الأجســـام السماوية في الجملة.

8 ـ كيف يحــدث الأجســام الهيولانية بالجملة ، وأيها يحدث أولا ، وأيها يحـدث ثانيا ، وأيها يحـدث ثالثا ، الى أن ينتهي الترتيب الى آخر ما يحـدث ، وان آخر ما يحـدث هو الانسان ، والأخبار عن حدوث كل صنف منها مجملا.

9 ـ كيف يجري التـدبير في بقـاء كل نـوع منها ، وفي بقاء أشـخاص كل نـوع ، وكيف وجه العـدل في تـدبيرها ، وأن كل ما يجـــري منها فانما يجـــري على نهاية العـــدل والاحكـام والكمـال فيه ، وأنه لا جـور في شــيء منها ولا اختلال ولا نقص ، وأن ذلك هو الــواجب ، وأنه لا يمكن أن يكون في طباع الموجودات غيرها.

10 ـ في الانسان وفي قـوى النفس الانسـانية ، وفي حدوثها ، وأيها يحدث أولا ، وأيها يحدث ثانيا ، وأيها يحــدث ثالثا ، ومراتب بعضها من بعض ، وأيها

يـرؤس فقط ، وأيها يخـدم شـيئا آخر ، وأيها يـرؤس شـيئا ويخدم شيئا آخر ، وأيها يرؤس أيها.

11 ـ في حــدوث أعضــائه وفي مراتبها ، ومــراتب بعضــها من بعض ، وأيها هو الــرئيس ، وأيها هو الخــادم ، وكيف يرؤس ما يرؤس منها ، وكيف يخدم ما يخدم منها.

12 ـ في الذكر والأنثى ، ما قوة كل واحد منهما ، وما فعل كل واحد منهما ، وكيف يحــدث الولد عنهما ، وبما ذا يختلفــان ، وبما ذا يشــتركان ، وما الســبب في التــذكير والتأنيث ، وكيف صار الولد ربما أشبه والديه ، وربما أشبه أحدهما فقط ، وربما أشبه بعض أجـداده الأبعـدين ، وربما لم يشبه أحدا من آبائه وأمهاته.

13 ـ كيف ترتسم المعقولات في الجـزء النـاطق من النفس ، ومن أين تــرد عليه ، وكم أصــناف المعقــولات ، وما العقل الــذي بــالقوة ، وما العقل الــذي بالفعل ، وما العقل الهيولاني ، وما العقل المنفعل ، وما العقل الفعــال ، وما مرتبته ، ولما ذا يســمى العقل الفعــال ، وما فعله ، وكيف ترتسم المعقــولات في العقل الــذي بــالقوة حــتى يصير عقلا بالفعل ، وما الارادة ، وما الاختيـار ، ولأي جـزء هما من أجـــزاء النفس ، وما الســـعادة القصـــوى ، وما الفضائل ، وما النقـائص ، وما الخـيرات في الأفعـال ، وما الشرور منها ، وما الجميل ، وما القبيح منها.

14 ـ في الجــزء المتخيل من أجــزاء النفس ، وكم أصناف أفعالها ، وكيف تكون الرؤيا ، وكم أصــنافها ، ولأي جــزء من أجــزاء النفس هي ، وما الســبب في صــدق ما يصدق منها ، وكيف يكون الـوحي ، وأي انسـان سـبيله أن يوحى اليه ، وبـأي جـزء من أجـزاء النفس يتلقى الانسـان المـوحى اليه الـوحي ، وما السـبب في أن صـار كثـير من الممرورين يخبرون بأشياء مستقبلة ويصدقون.

15 ـ في حاجة الانسان الى الاجتماع والتعـاون ، وكم أصناف الاجتماعات

الانسانية ، وما الاجتماعات الفاضلة وما المدينة الفاضلة ، وبما ذا تلتئم ، وكيف ترتيب أجزائها ، وكيف يكون أصـناف الرئاسات الفاضـلة في المـدن الفاضـلة ، وكيف ينبغي أن يكـــون تـــرتيب الـــرئيس الفاضل الأول ، وأي شـــرائط وعلامـات ينبغي أن نعتقد في الصـبي والحـدث حـتى اذا وجـــدت فيه كـــانت توطنه لأن يحصل له ما يـــرؤس به الرئاسة الفاضــلة ، وأي شــرائط ينبغي أن يكــون فيه اذا اســتكمل حــتى يصــير بها رئيسا فاضلا أولا. وكم أصـناف المـدن المضـادة للمدينة الفاضـلة ، وما المدينة الجاهلة ، وما المدينة الضـــالة ، وكم أصـــناف المـــدن والرئاســـات الجاهلة.

16 ـ ثم ذكر السـعادات القصـوى الـتي اليها تصـير أنفس أهل المدن الفاضـلة في الحيـاة الآخـرة ، وأصـناف الشقاء التي تصير اليها نفوس أهل المدن المضادة للمدن الفاضلة بعد الموت.

17 ـ كيف ينبغي أن يكـون الرسـوم في تلك لمـدن الفاضلة ، ثم ذكر الأشياء التي عنها ينبعث في نفوس كثير من النـاس الأصـول الفاسـدة الكاذبة الـتي عنها انـتزعت آراء الجاهلية.

18 ـ ثم اختصـاص أصـناف آراء الجاهلية الـتي عنها حصلت الأفعال والاجتماعات في المدن الجاهلة.

19 ـ ثم اختصاص الأصول الفاسـدة الـتي عنها تنبعث الآراء التي عنها تنبعث الملل الضالة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا كتاب ألفه أبو النصر الفارابي

في مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة

الباب الأول

القول في الموجود الأول

الموجـــود الأول هو الســـبب الأول لوجـــود ســـائر الموجودات كلها [1] ، وهو بـريء من جميع أنحـاء النقص. وكل ما ســواه فليس يخلو من أن يكــون فيه شــيء من أنحاء النقص ، إما واحدا وإما أكثر من واحد [2]. وأما الأول فهو خلو من أنحائها كلها ، فوجوده أفضل الوجود ، وأقـدم الوجــود ، ولا يمكن أن يكــون وجــود أفضل ولا أقــدم من وجوده [3]. وهو من فضيلة الوجود في أعلى أنحائه ، ومن كمــال الوجــود في أرفع المــراتب. ولــذلك لا يمكن أن يشــوب وجــوده وجــوهره عــدم أصــلا. والعــدم والضد لا يكونـان الا فيما دون فلك القمــر. والعــدم هو لا وجــود ما شأنه أن يوجد [4].

1) الله هو العلة الأولى لسائر الموجودات.
2) وهو تام.
3) وهو قديم.
4) وهو أبدي.

ولا يمكن أن يكون له وجود بالقوة ، ولا على نحو من الأنحاء ، ولا امكـان أن لا يوجد ولا بوجه ما من الوجـوه [1]. فلهذا هو أزلي ، دائم الوجود بجـوهره وذاته ، من غـير أن يكون به حاجة في أن يكون أزليا الى شيء آخر يمد بقاءه ، بل هو بجوهره كاف في بقائه ودوام وجوده.

ولا يمكن أن يكون وجـود أصلا مثل وجـوده ، ولا أيضا في مثل مرتبة وجوده وجود يمكن أن يكـون له أو يتـوافر عليه.

وهو الموجود الذي لا يمكن أن يكون له سـبب به ، أو عنه ، أو له كان وجـوده. فانه ليس بمـادة ، ولا قوامه في مادة ولا في موضـوع أصـلا. بل وجـوده خلو من كل مـادة ومن كل موضــوع ، ولا أيضا له صــورة ، لأن الصــورة لا يمكن أن يكون الا في مادة ، ولو كـانت له صـورة لكـانت ذاته مؤتلفة من مادة وصورة ، ولو كان كذلك لكان قوامه بجزئيه اللذين منهما ائتلف ، ولكان لوجـوده سـبب ، فـان كل واحد من أجزائه سبب لوجـود جملته ، وقد وضـعنا أنه سبب أول.

ولا أيضا لوجوده غرض وغاية حتى يكون ، انما وجوده ليتم تلك الغاية وذلك الغرض ، والا لكان يكـون ذلك سـببا ما لوجوده ، فلا يكون سببا أولا.

ولا أيضا استفاد وجوده من شيء آخر أقدم منه ، وهو من أن يكون استفاد ذلك مما هو دونه أبعد [2].

---

1) وهو موجود بالفعل لا بالقوة.
2) وليس لوجوده علة مادية أو صورية أو غائية أو فاعلة.

الباب الثاني

القول في نفي الشريك عنه تعالى

وهو مباين بجوهره لكل ما سواه ، ولا يمكن أن يكون الوجود الذي له لشيء آخر سواه ، لأن كل ما وجوده هـذا الوجود لا يمكن أن يكون بينه وبين شيء آخر له أيضا هذا الوجود مباينة أصلا ، ولا تغاير أصلا ، فلا يكـون اثنـان ، بل يكـون هنـاك ذات واحـدة فقط [1]؛ لأنه ان كـانت بينهما مباينة كان الذي تباينا به غـير الـذي اشـتركا فيه ، فيكـون الشيء الذي باين كل واحد منهما الآخر جزءا مما به قوام وجودهما ، والذي اشتركا فيه هو الجزء الآخر ، فيكون كل واحد منهما منقسما بـالقول ، ويكـون كل واحد من جزأيه سببا لقوام ذاته ، فلا يكون أولا ،

1) إذا كان ثمة إله آخر غير مباين لله كان هنـاك ذات واحـدة فقط ، أو إله واحد لا اثنان.

بل يكون هناك موجـود آخر أقـدم منه هو سـبب لوجـوده؛ وذلك محال [1].

وإن كان ذلك الآخر هو الذي فيه ما باين به هذا ، ولم يكن في هذا شـيء يبـاين به ذلك إلا بعد الشـيء الـذي به باين ذلك ، لزم أن يكون الشيء الـذي به بـاين ذلك الآخر هـذا ، هو الوجـود الـذي يخص ذاك. ووجـود هـذا مشـترك لهما ، فـإذن ذلك الآخر وجـوده مـركب من شـيئين : من شــيء يخصه ، ومن شــيء يشــارك به هــذا. فليس إذن وجود ذاك هو وجود هذا ، بل ذات هذا بسيط غـير منقسم ، وذات ذلك منقســم. فلــذلك إذن جــزءان بهما قوامــه. فلوجوده إذن سبب [2]، فوجوده إذن دون وجود هذا وأنقص منه. فليس هو إذن من الوجود في الرتبة الأولى.

وأيضا ، فإنه لو كان مثل وجوده في النـوع خارجا منه بشيء آخر ، لم يكن تام الوجود ، لأن التام هو ما لا يمكن أن يوجد خارجا منه وجود من نـوع وجـوده ، وذلك في أي شــيء كــان؛ لأن التــام في العظم هو ما لا يوجد عظم خارجا منه ، والتام في الجمال هو الذي لا يوجد جمال من نوع جماله خارجا منه ، وكذلك التام في الجوهر هو

---

1) وإذا وجد إلهـان متباينـان كانا مركـبين من جـزء يشـبه به كل منهما الآخر ومن جزء يخالفه. وكل مركب يحتاج إلى مركب أو سبب ولم يعد إليها.

2) واذا وجد إله بسـيط وآخر مـركب من جـزء يشـترك به مع البسـيط وجزء مباين ، كان ذلك الآخر منقسما وأدنى رتبة من هـذا البسـيط لأنه مركب وكل مركب يحتاج إلى سبب يركبه.

ما لا يوجد شيء من نوع جـوهره خارجا منـه؛ وكـذلك كل ما كـان من الأجسـام تاما ، لم يمكن أن يكـون من نوعه شـيء آخر غـيره ، مثل الشـمس والقمر وكل واحد من الكـواكب الأخـر. إذا كـان الأول تـام الوجـود لم يمكن أن يكـون ذلك الوجـود لشـيء آخر غـيره ، فـإذن هو منفـرد الوجود وحده ، فهو واحد من هذه الجهة [1].

---

1) الله واحد لأنه مثـال التمـام ، والمثـال لا يكـون الا واحـدا. ــ معـنى التمام أو الكمال هو توافر جميع أجـزاء الشـيء فيه بحيث لا ينقصه أي جزء منها (أرسطو).

الباب الثالث

القول في نفي الضد عنه

وأيضا فإنه لا يمكن أن يكون له ضد ، وذلك يتــبين إذا عرف معنى الضد ، فإن الضد مباين للشيء؛ فلا يمكن أن يكون ضد الشيء هو الشيء أصـلا. ولكن ليس كل مبـاين هو الضد ، ولا كل ما لم يمكن أن يكـــون هو الشـــيء هو الضـد. لكن كل ما كـان مع ذلك معانـدا ، شـأنه أن يبطل كل واحد منهما الآخر ويفسـده إذا اجتمعا ، ويكـون شـأن كل واحد منهما أنه ان يوجد حيث الآخر موجود يعدم الآخر ، ويعدم من حيث هو موجود فيه لوجود الآخر في الشـيء الذي كان فيه الأول [1]. وذلك عام في كل شيء يمكن أن يكون له ضد. فإنه إن كان الشيء ضدا للشيء في فعله ، لا في سائر أحواله ، فإن فعليهما فقط بهذه الصـفة. فـإن كانا متضادين في كيفيتهما ، فكيفيتهما بهذه الصــفة ، وإن كانا متضادين في جوهرهما ، فجوهرهما في هذه الصـفة [2].

---

1) معنى الضد : الضد هو 1) ما يباين الشيء 2) ويفسده أو يبطله.
2) التضاد يكون في العقل أو الكيفية أو الجوهر.

وإن كـان الأول له ضد فهو من ضـده بهـذه الصـفة ، فيلــزم أن يكــون شــأن كل واحد منهما أن يفسد ، وأن يمكن في الأول أن يبطل عن ضــــده ، ويكــــون ذلك في جــوهره [1]. وما يمكن أن يفسد فليس قوامه وبقــاؤه في جوهره ، بل يكون جوهره غير كاف في أن يبقى موجودا؛ ولا أيضا يكـون جـوهره كافيا في أن يحصل موجـودا ، بل يكــون ذلك بغـيره. واما ما أمكن أن لا يوجد فلا يمكن أن يكــون أزليا ، وما كــان جــوهره ليس بكــاف في بقائه أو وجـوده ، فلوجـوده أو بقائه سـبب آخر غـيره ، فلا يكـون أولا. وأيضا فإن وجوده إنما يكون لعدم ضده. فعدم ضــده اذن هو سبب وجـوده ، فليس إذن هو السـبب الأول على الاطلاق [2].

وأيضا فإنه يلزم أن يكون لهما أيضا حيث ما مشـترك ، قابل لهما ، حـتى يمكن بتلاقيهما فيه أن يبطل كل واحد منهما الآخر ، إما موضوع أو جنس أو شـيء آخر غيرهمـا؛ ويكـون ذلك ثابتا ، ويتعـاقب هـذان عليـه. فلـذلك إذن هو أقدم وجودا من كل واحد منهما [3].

وإن وضع واضع شـيئا غـير ما هو بهـذه الصـفة ضـدا لشيء ، فليس الذي يضعه ضـدا ، بل مباينة أخـرى سـوى مباينة الضد؛ ونحن لا ننكر

---

1) اذا كان الأول له ضد فتضادهما يكون في الجــوهر ، ويلحقه البطلان والفساد.

2) وما كان جوهره غير كاف لوجوده أو بقائه يحتاج إلى سبب لوجــوده فلا يكون أولا ثم لا يكون أزليا.

3) يلزم الضدين موضوع أو جنس يتعاقبان عليه ويكون هـذا الموضــوع أو الجنس أقدم منهما.

أن يكون للأول مباينات أخر سـوى مباينة الضد وسـوى ما يوجد وجوده [1].

فإذن لم يمكن أن يكون موجـود ما في مرتبة وجـوده ، لأن الضدين هما في رتبة واحدة من الوجود.

فـإذن الأول منفـرد بوجـوده ، لا يشـاركه شـيء آخر أصلا موجود في نوع وجوده. فهو إذن واحد.

وهو مع ذلك منفرد أيضا برتبته وحـده. فهو أيضا واحد من هذه الجهة [2].

---

1) كل مباينة ليست بمعنى الضد وبالمثل لا ينفيها الفارابي.
2) لا شريك.

الباب الرابع

في نفي الحد عنه سبحانه

وأيضا ، فإنه غـــير منقسم بـــالقول إلى أشـــياء بها تجوهره ، وذلك لأنه لا يمكن أن يكون القول الـذي يشـرح معناه يدل كل جزء من أجزائه على جزء مما يتجـوهر به ، فإنه إذا كان كذلك كانت الأجزاء الـتي بها تجـوهره أسـبابا لوجوده على جهة ما تكون المعاني التي تـدل عليه أجـزاء حد الشيء أسـبابا لوجـود المحـدود ، وعلى جهة ما تكـون المادة والصورة أسبابا لوجود المتركب منهمـا. وذلك غـير ممكن فيه ، إذ كان أولا وكان لا سبب لوجوده أصلا [1].

فإذا كان لا ينقسم هذه الأقسـام ، فهو من أن ينقسم أقسام الكمية وسائر أنحاء الانقسـام أبعـد. فمن هنا يلـزم ضرورة أيضا أن لا يكون له عظم ، ولا يكون جسما أصلا [2].

---

1) ان الله لا يحد لأن الحـدّ يكـون بـالجنس والفصل وليس لله جنس وفصل.

2) وليس الله جسما.

فهو أيضا واحد من هـــــــــــذه الجهة ، وذلك أن أحد المعاني التي يقال عليها الواحد هو ما لا ينقسم. فــإن كل شــــيء كـــــان لا ينقسم من وجه ما ، فهو واحد من تلك الجهة التي بها لا ينقسم؛ فإنه إن كان من جهة فعله ، فهو واحد من تلك الجهة ، وإن كـــــــان من جهة كيفيته ، فهو واحد من جهة الكيفيـــة. وما لا ينقسم في جـــوهره فهو واحد في جوهره فإذن كان الأول غير منقسم في جـوهره [1].

1) الوحدة تعني عدم الانقسام والله واحد من جميع الجهات.

الباب الخامس

القول في أن وحدته عين ذاته

وأنه تعالى عالم وحكيم وأنه حق وحي وحياة

فإن وجوده الذي به ينحاز عما سواه من الموجــودات لا يمكن أن يكون غير الذي هو به في ذاته موجود. فلـذلك يكــون انحيــازه عن ما ســواه توحــده في ذاتــه. وإن أحد معــاني الوحــدة هو الوجــود الخــاص الــذي به ينحــاز كل موجود عما سواه ، وهي التي بها يقـال لكل موجـود واحد من جهة ما هو موجود الوجود الذي يخصه ، وهـذا المعـنى من معاني الواحد يساوق الموجود الأول. فالأول أيضا بهذا الوجه واحد ، وأحق من كل واحد ســـــواه باسم الواحد ومعناه [1].

ولأنه ليس بمــادة ، ولا مــادة له بوجه من الوجــوه ، فإنه بجوهره عقل بالفعـل. لأن المـانع للصـورة أن تكـون عقلا وأن تعقل بالفعل ، هو

---

1) يكون الشيء واحدا إذا حاز على صفات تميزه عن غيره.

المـادة الـتي فيها يوجد الشـيء. فمـتى كـان الشـيء في وجوده غير محتاج إلى مـادة ، كـان ذلك الشـيء بجـوهره عقلا بالفعل : وتلك حـــال الأول. فهو إذن عقل بالفعل [1]، وهو أيضا معقول بجوهره. فإن المانع أيضا للشيء من أن يكون بالفعل معقـولا هو المـادة. وهو معقـول من جهة ما هو عقل [2]؛ لأن الـــذي هويته عقل ليس يحتـــاج في أن يكـون معقـولا إلى ذات أخـرى خارجة عنه تعقلـه؛ بل هو بنفسه يعقل ذاته ، فيصـير بما يعقل من ذاته عـاقلا وعقلا بالفعل ، وبأن ذاته تعقله (يصير) معقولا بالفعل. وكذلك لا يحتـاج في أن يكـون عقلا بالفعل وعـاقلا بالفعل إلى ذات يعقلها ويستفيدها من خـارج ، بل يكـون عقلا وعـاقلا بـأن يعقل ذاتـه. فـإن الـذات الـتي تعقل هي الـتي تعقل ، فهو عقل من جهة ما هو معقـول؛ فإنه عقل وإنه معقـول وإنه عاقل [3]. هي كلها ذات واحدة وجوهر واحد غـير منقسـم. فـإن الانســان مثلا معقــول وليس المعقــول منه معقــولا بالفعل ، بل كان معقولا بالقوة ثم صار معقولا بالفعل بعد أن عقله العقل. فليس إذن المعقول من الانسان هو الذي يعقل ، ولا العقل منه أبـــدا هو المعقـــول ، ولا عقلنا نحن من جهة ما هو عقل هو معقــول ، ونحن عـــاقلون لا بـــأن جوهرنا عقــل؛ فـإن ما نعقل ليس هو الــذي به تجوهرنــا. فـــالأول ليس كـــذلك ، بل العقل والعاقل والمعقـــول فيه معنى واحد ، وذات واحدة ، وجوهر واحد غير منقسم [4].

---

1) الله عقل بالفعل.
2) الله معقول من ذاته.
3) الله لا يعقل سوى ذاته.
4) الفرق بين الله والانسان العقل من غير المعقول.

وكذلك الحـال في أنه عـالم؛ فإنه ليس يحتـاج في أن يعلم إلى ذات أخـرى يسـتفيد بعلمها الفضـيلة خارجة عن ذاته؛ ولا في أن يكـون معلوما إلى ذات أخـرى تعلمه ، بل هو مكتف بجـــوهره في أن يعلم ويعلم. وليس علمه بذاته شيئا سوى جوهره ، فإنه يعلم وإنه معلــوم وإنه علم. فهو ذات واحدة وجوهر واحد [1].

وكـــــذلك في أنه حكيم. فـــــإن الحكمة هي أن يعقل أفضل الأشـــــياء بأفضل علم ، وبما يعقل من ذاته ويعلمه يعلم أفضل الأشياء. وأفضل العلم هو العلم الدائم الذي لا يمكن أن يزول ، وذلك هو علمه بذاته [2].

وكــذلك في أنه حــق. فــإن الحق يســاوق الوجــود ، والحقيقة قد تســاوق الوجــود ، فــإن حقيقة الشــيء هي الوجــود الــذي يخصــه. وأكمل الوجــود هو قســطه من الوجـود؛ وأيضا فـإن الحق قد يقـال على المعقـول الـذي صادف به العقل الموجود حتى يطابقه. وذلك الموجود من جهة ما هو معقول ، يقــال له إنه حق ، ومن جهة ذاته من غير أن يضاف إلى ما يعقله يقال إنه موجود. فالأول يقـال إنه حق بـالوجهين جميعا ، بـأن وجـوده الـذي هو له أكمل الوجود ، وبأنه معقول صادف به الذي عقله الموجود على ما هو موجـــود. وليس يحتـــاج في أن يكـــون حقا بما هو معقول إلى ذات أخرى خارجة عنه تعقلـه. وأيضا أولى بما يقال عليه حق بالوجهين جميعا. وحقيقته ليست هي شـيئا سوى أنه حق [3].

---

1) ذات الله هي العالمة والمعلومة.
2) الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء.
3) الله حق أي موجود ، الله حق أي معقول.

وكــذلك في أنه حيّ ، وأنه حيــاة. فليس يــدل بهــذين على ذاتين ، بل على ذات واحــدة. فــإن معــنى الحيّ أنه يعقل أفضل معقــول بأفضل عقل ، أو يعلم أفضل معلــوم بأفضل علم. كما أن إنما يقال لنا أحياء أولا ، إذا كنا ندرك أحسن المــدركات بأحسن ادراك. فإنّا إنما يقــال لنا أحيــاء إذا كنا نــدرك المحسوســات ، وهي أحسن المعلومــات ، بالاحســاس الــذي هو أحسن الادراكــات ، وبأحسن القــوى المدركة وهي الحــــــــواس. فما هو أفضل عقل إذا عقل وعلم أفضل المعقولات بأفضل علم ، فهو أحرى أن يكون حيا ، لأنه يعقل من جهة ما هو عقل ، وانه عاقل وانه عقل ، وانه عالم وانه علم ، هو فيه معــنى واحــد. وكــذلك أنه حي ، وأنه حياة ، معنى واحد [1].

وأيضا فإن اسم الحي قد يستعار لغير ما هو حيــوان ، فيقال على كل موجود كان على كماله الأخــير ، وعلى كل ما بلغ من الوجــود والكمــال إلى حيث يصــدر عنه ما من شأنه أن يكــون منه ، كما من شــأنه أن يكــون منــه. فعلى هذا الوجه إذا كــان الأول وجــوده أكمل وجــود ، كــان أيضا أحقّ باسم الحيّ من الذي يقال على الشيء باستعارة [2]. وكل ما كان وجــوده أتم فإنه إذا علم وعقل كــان ما يعقل عنه ويعلم منه أتم ، إذا كــان المعقــول منه في نفوســنا مطابقا لما هو موجــود منه : فعلى حسب وجــود الخــارج عن نفوسنا يكون معقوله في نفوسنا مطابقا

1) الله حي بمعنى أنه عاقل وعالم.
2) اسم الحي يطلق على غــير الحيــوان ، يطلق على كل كامل مثل الله.

لوجــوده ، وإن كــان نــاقص الوجــود ، كــان معقوله في نفوسنا معقولا أنقص [1].

فإن الحركة والزمان واللانهاية والعـدم وأشـباهها من الموجــودات ، فــالمعقول من كل واحد منها في نفوســنا معقول ناقص ، إذ كانت هي في أنفسها موجـودات ناقصة الوجود. والعدد والمثلث والمربع وأشـباهها فمعقولاتها في أنفسـنا أكمل لأنها هي في أنفسـها أكمل وجـودا ، فلـذلك كان يجب في الأول ، إذ هو في الغاية من كمال الوجــود ، أن يكــون المعقــول منه في نفوســنا على نهاية الكمــال أيضا. ونحن نجد الأمر على غـير ذلك ، فينبغي أن نعلم أنه من جهته غير معتاص الادراك ، إذ كـان في نهاية الكمـال؛ ولكن لضعف قوى عقولنا نحن ولملابستها المادة والعدم ، يعتــاص ادراكه ، ويعسر علينا تصــوره ، ونضــعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده ، فإن افـراط كماله يبهرنا ، فلا نقوى على تصوره على التمام ، كما أن الضوء هو أول المبصـرات وأكملها وأظهرها ، به يصـير سـائر المبصـرات مبصــرة ، وهو السـبب في أن صــارت الألــوان مبصــرة. ويجب فيها أن يكون كل ما كان أتم وأكبر ، كادراك البصر له أتم. ونحن نـرى الأمر على خلاف ذلك ، فإنه كلما كـان أكبر كـان ابصـارنا له أضـعف ، ليس لأجل خفائه ونقصه ، بل هو في نفسه على غاية ما يكــــون من الظهــــور والاســتنارة؛ ولكن كماله ، بما هو نـــور ، يبهر الأبصـــار ، فتحار الأبصار عنه.

1) العلم يتبع المعلوم فإذا كان المعلوم ناقصا كـان علمنا به ناقصا وإذا كان تاما كان علمنا به تاما.

كذلك قياس السـبب الأول والعقل الأول والحق الأول ، وعقولنا نحن. ليس نقص معقوله عنـــدنا لنقصـــانه في نفسه ، ولا عسر إدراكنا له لعســـره في وجـــوده ، لكن لضعف قوى عقولنا نحن عسر تصوره [1].

فتكـــون المعقـــولات الـــتي هي في أنفســـنا ناقصة ، وتصورنا لها ضعيف. وهذا على ضربين : ضـرب ممتنع من جهة ذاته أن يتصـــور فيعقل تصـــورا تاما لضـــعف وجـــوده ونقصــان ذاته وجـــوهره ، وضـــرب مبـــذول من جهة فهمه وتصـــوره على التمـــام وعلى أكمل ما يكـــون. ولكن أذهاننا وقـــوى عقولنا ممتنعة ، لضـــعفها وبعـــدها عن جـــوهر ذلك الشـــيء ، من أن نتصـــوره على التمـــام وعلى ما هو عليه من كمال الوجود. وهذان الضربان كل واحد منهما هو من الآخر في الطرف الأقصى من الوجود : أحـــدهما في نهاية الكمال ، والآخر في نهاية النقص [2].

ويجب إذا كنا نحن ملتبســـين بالمـــادة ، كـــانت هي السـبب في أن صـارت جواهرنا جـوهرا يبعد عن الجـوهر الأول ، إذ كلما قربت

---

1) يعسر علينا ادراك الله لشدة كماله وعظمته من جهة ولضعف قـوى عقولنا وملامستها المادة من جهة ثانية.

2) تكـون المعقـولات في أنفسـنا ناقصة لسـببين 1) إما لضـعف وجـود المعقولات ونقصان جوهرها 2) وإما لشدة تمامها.

جواهرنا منه ، كان تصورنا له أتم وأيقن وأصـدق. وذلك أنا كلما كنا أقـرب إلى مفارقة المـادة كـان تصـورنا له أتم ، وإنما نصير أقرب إليه بأن نصـير عقلا بالفعـل. وإذا فارقنا المادة على التمام يصير المعقول منه في أذهاننا أكمل ما يكون [1].

1) تلبسـنا بالمـادة يبعـدنا عن الله ، ونقـترب منه إذا صـار عقلنا عقلا بالفعل أو إذا فارقنا المادة تماما.

الباب السادس

القول في عظمته وجلاله ومجده تعالى

وكـذلك عظمته وجلاله ومجـده. وإن العظمة والجلالة والمجد في الشـــيء إنما يكـــون بحسب كماله ، إما في جـوهره ، وإما في عـرض من خواصه [1]. وأكـثر ما يقـال ذلك فينا ، إنما هو لكمال ما لنا في عـرض من أعراضـنا ، مثل اليســار والعلم ، وفي شــيء من أعــراض البــدن. والأول ، لما كــان كماله باينا لكل كمــال ، كـانت عظمته وجلاله ومجده باينا لكل ذي عظمة ومجد ، وكانت عظمته ومجده الغايات فيما له من جوهره لا في شيء آخر خارج عن جوهره وذاته؛ ويكــون ذا عظمة في ذاته وذا مجد في ذاته؛ أجلّه غـيره أو لم يجله ، عظمه غـيره أو لم يعظمه ، مجده غيره أو لم يمجده [2].

والجمـال والبهـاء والزينة في كل موجـود هو أن يوجد وجوده

---

1) العظمة والجلالة والمجد ترجع إلى الكمال.

2) الفرق بين كمال الله وكمال الانسان : كمال الله في ذاته أو جوهره وكمال الإنسان في أعراض الجسم والنفس ومن الخارج.

الأفضل ، ويحصل له كماله الأخير. وإذ كـان الأول وجـوده أفضل الوجـود ، فجماله فـائق لجمـال كل ذي الجمـال ، وكـذلك زينته وبهـاؤه. ثم هـذه كلها له في جـوهره وذاتـه؛ وذلك في نفسه وبما يعقله من ذاتـــه. وأما نحن ، فـــإن جمالنا وزينتنا وبهاءنا هي لنا بأعراضنا ، لا بذاتنا؛ وللأشـياء الخارجة عنا ، لا في جوهرنا. والجمـال فيه والكمـال ليسا هما فيه سوى ذات واحدة ، وكذلك سائرها [1].

واللذة والسرور والغبطة ، إنما ينتج ويحصل أكثر بـأن يـــدرك الأجمل والأبهى والأزين بـــالادراك الأتقن والأتم [2]. فإذا كـان هو الأجمل في النهاية والأبهى والأزين ، فادراكه لذاته الادراك الأتقن في الغاية ، وعلمه بجـــــوهره العلم الأفضل على الاطلاق ، واللـذة الـتي يلتذ بها الأول لـذة لا نفهم نحن كنهها ولا نـــدري مقـــدار عظمها الا بالقيـــاس والاضافة إلى ما نجده من اللـذة ، عند ما نكـون قد أدركنا ما هو عنـــــــــدنا أكمل وأبهى ادراكا ، وأتقن وأتم ، إما باحســاس أو تخيل أو بعلم عقلي. فإنّا عند هـــذه الحـــال يحصل لنا من اللذة ما نظن أنه فائق لكل لـذة في العظم ، ونكون نحن عند أنفسـنا مغبـوطين بما نلنا من ذلك غاية الغبطة ، وإن كانت تلك الحـال منا يسـيرة البقـاء سـريعة الـــــدثور. فقيـــــاس علمه هو وادراكه الأفضل من ذاته والأجمل والأبهى إلى علمنا نحن ، وإدراكنا الأجمل والأبهى عنـدنا ، هو قيـاس سـروره ولذته واغتباطه بنفسه إلى ما ينالنا من اللذة والسرور والاغتباط بأنفسنا [3]. وإذن كأن

1) الجمال هو الوجود الأفضل والكمال. الله فـائق الجمـال وجماله في ذاته.
2) اللذة هي إدراك الجمال والكمال.
3) الله يدرك جماله وكماله فتحصل له لذة لا متناهية.

لا نســــــــــبة لادراكنا نحن إلى ادراكه ، ولا لمعلومنا إلى معلومه ، ولا للأجمل عنـــدنا إلى الأجمل من ذاتـــه؛ وان كـانت له نسـبة فهي نسـبة ما يسـيرة. فـإذن لا نسـبة لالتذاذنا وسرورنا واغتباطنا لأنفسنا إلى ما للأول من ذلك. وان كـانت له نسـبة فهي نسـبة يسـيرة جـدا. فإنه كيف يكون نسبة لما هو جزء يسـير إلى ما مقـداره غـير متنـاه في الزمــــان ، ولما هو أنقص جــــدا إلى ما هو في غاية الكمال [1]؟

وان كـــــان ما يلتذ بذاته ويسر به أكـــــثر ويغتبط به اغتباطا أعظم ، فهو يحب ذاته ويعشقها ويعجب بها أكثر ، فإنه بيّن أن الأول يعشق ذاته ويحبها ويعجب بها اعجابا بنسبته [2]. ونسبته إلى عشقنا لما نلتذ به من فضـيلة ذاتنا كنسـبة فضـيلة ذاته هو ، وكمـال ذاته ، إلى فضـيلتنا نحن وكمالنا الــــذي نعجب به من أنفســـنا ، والمحب منه هو المحبـــــــــوب بعينه ، والمعجب منه هو المعجب منه ، والعاشق منه هو المعشــــوق. وذلك على خلاف ما يوجد فينا ، فـان المعشـوق منا هو الفضـيلة والجمـال ، وليس العاشق منا هو الجمال والفضيلة. لكن للعاشق قوة أخرى ، فتلك ليست للمعشوق؛ فليس العاشق منا هو المعشوق بعينـــه. فأما هو فـــان العاشق منه هو بعينه المعشـــوق ، والمحب هو المحبـوب ، فهو المحبـوب الأول والمعشـوق الأول ، أحبه غيره أو لم يحبه ، وعشقه غيره أو لم يعشقه [3].

1) لا نسبة بين لذتنا ولذة الله.
2) الله يحب ذاته فهو المحب والمحبوب.
3) اما الانسان فالمحب هو الذات والمحبوب هو الفضيلة والجمال.

الباب السابع

القول في كيفية صدور جميع الموجودات عنه

والأول هو الـذي عنه وجـد. ومـتى وجد للأول الوجـود الذي هو له ، لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجــودات الــتي وجودها لا بــارادة الانســان واختيــاره ، على ما هي عليه من الوجــود الــذي بعضه مشـــاهد بـــالحس وبعضه معلوم بالبرهان [1]. ووجـود ما يوجد عنه انما هو على جهة فيض وجـوده لوجـود شـيء آخر ، وعلى أن وجـود غـيره فائض عن وجوده هو [2]. فعلى هـذه الجهة لا يكـون وجـود ما يوجد عنه سببا له بوجه من الوجــوه ، ولا على أنه غاية لوجود الأول ، كما يكون وجود الابن ـ من جهة ما هو ابن ـ غاية لوجــود الأبــوين ، من جهة ما هما أبــوان. يعــني أن الوجود الذي يوجد عنه (لا) يفيده كمالا ما ، كما

1) وجود الموجودات لازم ضرورة عن وجود الله.
2) ويتم ذلك بالفيض.

يكـون لنا ذلك عن جـلّ الأشـياء الـتي تكـون منا ، مثل أنا باعطائنا المـال لغيرنا نسـتفيد من غيرنا كرامة أو لـذة أو غير ذلك من الخـيرات ، حـتى تكـون تلك فاعلة فيه كمـالا مـا. فـالأول ليس وجـوده لأجل غـيره ، ولا يوجد بغـيره ، حتى يكـون الغـرض من وجـوده أن يوجد سـائر الأشـياء ، فيكون لوجوده سبب خارج عنه ، فلا يكــون أولا ، ولا أيضا باعطائه ما سواه الوجـود ينـال كمـالا لم يكن له قبل ذلك خارجا عما هو عليه من الكمال ، كما ينال من يجـود بماله أو شيء آخر ، فيستفيد بما يبذل من ذلك لذة أو كرامة أو رئاسة أو شيئا غير ذلك من الخـيرات [1]–؛ فهـذه الأشـياء كلها محال أن تكون في الأول ، لأنه يسقط أوليته وتقدمه ، ويجعل غيره أقدم منه وسببا لوجـوده ، بل وجـوده لأجل ذاتـه؛ ويلحق جـوهره ووجـوده ويتبعه أن يوجد عنه غـيره. فلـذلك وجـوده الـذي به فـاض الوجـود إلى غـيره هو في جــوهره ، ووجــوده الــذي به تجــوهره في ذاته ، هو بعينه وجوده الذي به يحصل وجود غيره عنه. وليس ينقسم الى شيئين ، يكون بأحدهما تجوهر ذاته وبالآخر حصـول شـيء آخر عنه ، كما أن لنا شيئين نتجوهر بأحدهما ، وهو النطق ، ونكتب بالآخر ، وهو صـناعة الكتابة ، بل هو ذات واحــدة وجــوهر واحد ، به يكــون تجــوهره وبه بعينه يحصل عنه شيء آخر.

ولا أيضا يحتاج في أن يفيض عن وجوده وجـود شـيء آخر الى شيء غير ذاته يكون فيه ، ولا عرض يكــون فيه ، ولا حركة يسـتفيد بها حـالا لم يكن له ، ولا آلة خارجة عن ذاته ، مثل ما تحتاج النار ، في

1) وجود الموجودات ليس سببا الله أو غاية له.

أن يكون عنها وعن الماء بخار ، الى حرارة يتبخر بها الماء ، وكما تحتـاج الشـمس ، في أن تسـخن ما لـدينا الى أن تتحرك هي ليحصل لها بالحركة ما لم يكن لها من الحال ، فيحصل عنها وبالحال التي اسـتفادها بالحركة حـرارة فيما لدينا ، أو كما يحتاج النجار إلى الفأس وإلى المنشار حـتى يحصل عنه في الخشب انفصـــال وانقطـــاع وانشـــقاق. وليس وجـــوده ، بما يفيض عنه وجـــود غـــيره ، أكمل من وجوده الذي هو بجوهره ، ولا وجوده الـذي بجـوهره أكمل من الـــذي يفيض عنه وجـــود غـــيره ، بل هما جميعا ذات واحدة [1].

ولا يمكن أيضا أن يكـــون له عـــائق من أن يفيض عنه وجود غيره ، لا من نفسه ولا من خارج أصلا [2].

1) لا يحتاج الله في إيجاده الموجودات إلى آلة أو حركة.
2) لا يمكن أن يكون ثمة عائق يعيق الله عن الايجاد.

الباب الثامن

القول في مراتب الموجودات

الموجـــودات كثـــيرة ، وهي مع كثرتها متفاضـــلة. وجـــوهره جـــوهر يفيض منه كل وجـــود (كيف كـــان ذلك الوجود) ، كان كـاملا أو ناقصـا. وجـوهره أيضا جـوهر ، إذا فاضت منه الموجـودات كلها بـترتيب مراتبها ، حصل عنه لكل موجـود قسـطه الـذي له من الوجـود ومرتبته منـه. فيبتدئ من أكملها وجودا ثم يتلـوه ما هو أنقص منه قليلا ، ثم لا يـــــــزال بعد ذلك يتلو الأنقص إلى أن ينتهي إلى الموجـود الـذي إن تخطى عنه إلى ما دونه تخطى إلى ما لم يمكن أن يوجد أصلا ، فتنقطع الموجودات من الوجـود. وبـان جـوهره جـوهرا تفيض منه الموجـودات من غـير أن يخص بوجـــود دون وجـــوده. فهو جـــواد ، وجـــوده هو في جوهره ، ويترتب عنه الموجـودات ، ويتحصل لكل موجـود قسطه من الوجود بحسب رتبته عنه. فهو عـدل ، وعدالته في جوهره ، وليس ذلك لشيء خارج عن جوهره [1]

1) مبادئ الموجودات كثيرة متفاضلة

وجوهره أيضا جـوهر ، إذا حصـلت الموجـودات مرتبة في مراتبها أن يــأتلف ويرتبط وينتظم بعضــها مع بعض ، ائتلافا وارتباطا وانتظاما تصـير بها الأشـياء الكثـيرة جملة واحــدة ، وتحصل كشــيء واحــد. والــتي بها ترتبط هــذه وتأتلف هي لبعض الأشـياء في جواهرها حـتى ان جواهرها الــتي بها وجودها هي الــتي بها تــأتلف وترتبــط. ولبعض الأشــياء تكــون أحــوال فيها تابعة لجوهرها ، مثل المحبة الــتي بها يرتبط النــاس ، فانها حــال فيهم ، وليست هي جواهرهم التي بها وجودهم. وهذه أيضا فيها مستفادة عن الأول ، لأن في جــــوهر الأول أن يحصل عنه بكثــــير من الموجودات مع جواهرها الأحوال التي بها يرتبط بعضها مع بعض ، ويأتلف وينتظم [1].

---

1) تبدأ بالأكمل 1 ـ أو العقل الأول 2 ــ ثم تـأتي الثـواني 3 ــ ثم العقل الفعال 4 ـ ثم النفس 5 ـ ثم الصورة 6 ـ ثم المادة.

والأجســام في العــالم ســتة هي الجسم الســماوي والانســان والحيـوان والنبـات والمعـادن والاسطقسـات. وقد فصل ذلك بصـورة أوضح في كتاب «السياسة المدنية».

1) الموجودات مرتبة ومنتظمة ومرتبطة.

الباب التاسع

القول في الأسماء التي ينبغي أن يسمى بها الأول تعالى مجده

الأسماء التي ينبغي أن يسمى بها الأول ، هي الأسماء التي تدل في الموجودات التي لدينا ، ثم في أفضلها عندنا ، على الكمـال وعلى فضـيلة الوجـود ، من غـير أن يـدل شيء من تلك الأسماء فيه هو على الكمال والفضيلة التي جرت العـادة أن تـدل عليها تلك الأسـماء في الموجـودات التي لدينا وفي أفضلها ، بل على الكمـال الـذي يخصه هو في جـوهره [1]. وأيضا فـان أنـواع الكمـالات ، الـتي جـرت العادة أن يدل عليها بتلك الأسماء الكثـيرة كثـيرة ، وليس ينبغي أن تظن بأن أنواع كمالاته التي يـدل عليها بأسـمائه الكثيرة أنواع كثيرة ، ينقسم الأول إليها ويتجــوهر بجميعها ، بل ينبغي أن يدل بتلك الأسماء الكثيرة على جوهر واحد ووجود واحد غير منقسم أصلا [2].

1) أسماء الله يجب أن تدل على كماله هو وليس على كمالاتنا نحن.
2) ولا ينبغي أن تدل على كمالات كثيرة بل على جوهر واحد.

والأسماء التي تدل على الكمال والفضيلة في الأشياء التي لـدينا ، منها ما يـدل على ما هو للشـيء في ذاته ، لا من حيث هو مضـــاف إلى شـــيء آخر خـــارج عنه ، مثل الموجود الواحد والحيّ؛ ومنها ما يـدل على ما هو للشـيء بالاضافة إلى شيء آخر خارج عنه ، مثل العـدل والجـوّاد. وهـذه الأسـماء ، أما فيما لـدينا ، فإنها تـدل على فضـيلة وكمال ، تكون اضافته إلى شيء آخر خارج عنه جـزءا من ذلك الكمال حـتى تكـون تلك الاضـافة جـزءا من جملة ما يدل عليه بتلك الأسـماء ، بـأن يكـون ذلك الاسم ، أو بـأن تكــون تلك الفضــيلة وذلك الكمــال قوامه بالاضــافة إلى شيء آخر [1]. وأمثال هذه الأسماء ، متى نقلت وسمي بها الأول ، قصدنا أن يدل بها على الاضافة التي له إلى غـيره بما فــاض منه من الوجــود ، فينبغي أن لا نجعل الاضــافة جـزءا من كماله ، ولا أيضا نجعل ذلك الكمـال ، المـدلول عليه بـــذلك الاسم ، قوامه بتلك الاضـــافة ، بل ينبغي أن نـدل به على جـوهر وكمـال تتبعه ضـرورة تلك الاضـافة. وعلى أن قوام تلك الاضافة بذلك الجـوهر ، وعلى أن تلك الاضافة تابعة لما جوهره ذلك الجوهر الذي دلّ عليه بذلك الاسم [2].

---

1) في الأشياء التي لدينا تدل الأسماء إما على ما هو للشيء في ذاته ، وإما على ما هو للشيء بالاضافة إلى غيره.
2) بالنسبة لله هذه الأسماء تـدل على الاضـافة الـتي له إلى العـالم. ـــ ولكن ليست الاضــافة جــزءا من كمــال الله ولا يقــوم كمــال الله بتلك الاضافة.

الباب العاشر

القول في الموجودات الثواني وكيفية صدور الكثير

يفيض من الأول وجـود الثـاني؛ فهـذا الثـاني هو أيضا جوهر غير متجسم أصلا ، ولا هو في مـادة. فهو يعقل ذاته ويعقل الأول ، وليس ما يعقل من ذاته هو شيء غير ذاته. فما يعقل من الأول يلـــزم عنه وجـــود ثـــالث ، وبما هو متجوهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السـماء الأولى [1].

والثالث أيضا وجوده لا في مادة ، وهو بجوهره عقـل. وهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فما يتجوهر به من ذاته الـتي تخصه يلـزم عنه وجـود كـرة الكـواكب الثابتـة؛ وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابع [2].

وهـذا أيضا لا في مـادة ، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فبما

---

1) العقل الثـــاني جـــوهر يفيض عن الله أو العقل الأول وعنه يفيض العقل الثالث والسماء الأولى.
2) يفيض عن العقل الثالث العقل الرابع وكرة الكواكب.

يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجـود كـرة زحل ، وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود خامس [1].

وهـذا الخـامس أيضا وجـوده لا في مـادة ، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كــرة المشــتري ، وبما يعقله من الأول يلــزم عنه وجــود سادس [2].

وهذا أيضا وجوده لا في مـادة ، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فبما يتجــوهر به من ذاته يلــزم عنه وجــود كـــرة المريخ ، وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود سابع [3].

وهذا أيضا وجوده لا في مـادة ، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فبما يتجــوهر به من ذاته يلــزم عنه وجــود كـــرة الشمس ، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود ثامن [4].

وهو أيضا وجــــوده لا في مــــادة ، ويعقل ذاته ويعقل الأول. فبما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة الزهرة ، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجــود تاسع [5].

وهذا أيضا وجوده لا في مـادة ، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فبما يتجــوهر به من ذاته يلــزم عنه وجــود كـــرة عطارد ، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود عاشر [6].

---

1) يفيض عن العقل الرابع العقل الخامس وكرة زحل.
2) يفيض عن العقل الخامس العقل السادس وكرة المشتري.
3) يفيض عن السادس سابع وكرة المريخ.
4) يفيض عن السابع ثامن وكرة الشمس.
5) يفيض عن الثامن تاسع وكرة الزهرة.
6) يفيض عن العقل التاسع عقل عاشر وكرة عطارد.

وهذا أيضا وجوده لا في مـادة ، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول. فبما يتجوهر به من ذاته يلزم عنه وجود كـرة القمر ، وبما يعقل من الأول يلزم عنه وجود حادي عشر [1].

وهذا الحـادي عشر هو أيضا وجـوده لا في مـادة؛ وهو يعقل ذاته ويعقل الأول. ولكن عنده ينتهي الوجود الـذي لا يحتاج ما يوجد ذلك الوجود إلى مادة وموضوع أصـلا. وهي الأشياء المفارقة التي هي في جواهرها عقول ومعقولات. وعند كـرة القمر ينتهي وجـود الأجسـام السـماوية ، وهي التي بطبيعتها تتحرك دورا [2].

---

1) يفيض عن العقل العاشر حادي عشر وكرة القمر.
2) الحادي عشر هو العقل الفعال.

الباب الحادي عشر

القول في الموجودات والأجسام التي لدينا

وهذه الموجودات ، التي أحصيناها ، هي التي حصـلت لها في كمالاتها الأفضل في جواهرها منذ أول الأمر [1]. وعند هـذين (فلك القمر والعقل الحـادي عشـر) ينقطع وجود هذه. والـتي بعـدهما هي ليس الـتي في طبيعتها أن توجد في الكمـالات الأفضل في جواهرها منذ أول الأمر ، بل إنما شـأنها أن يكـون لها أولا نقص وجوداتها ، فيبتـدئ منه ، فيترقى شيئا فشيئا إلى أن يبلغ كل نـوع منها أقصى كماله في جـوهره؛ ثم هي في سـائر أعراضه [2]— وهـذه الحال هي في طبـاع هـذا الجنس من غـير أن يكـون ذلك دخيلا عليه من شيء آخر غريب عنه [3]. وهذه منها طبيعية ، ومنها ارادية ، ومنها مركبة من الطبيعية والارادية.

1) الموجودات السماوية موجودة دائما بالفعل لذا كانت كاملة.
2) أما الموجودات الأرضـية فهي تمر من القـوة إلى الفعل ولـذا تكـون ناقصة ثم تسعى نحو الكمال.
3) هذا السعي أو الترقي نحو الكمال يكون في طبـاع الموجـود ولا يتم بتأثير خارجي.

والطبيعية من هـــذه توطئة للارادية ، ويتقـــدم بالزمـــان وجودها قبل الارادية. ولا يمكن وجود الارادية منها دون أن توجد الطبيعية منها قبل ذلك [1]. والأجســـام الطبيعية من هذه هي الأسطقسات ، مثل النار والهـواء والمـاء والأرض ، وما جانسـها من البخـار واللهيب وغـير ذلـك؛ والمعدنية مثل الحجارة وأجناسـها ، والنبـات والحيـوان غـير النـاطق والحيوان الناطق [2].

1) الموجودات الأرضية ثلاثة أنواع طبيعية وارادية ، ومركبة من طبيعية وارادية.
2) الموجودات الأرضية هي الاسطقسات والمعـادن والنبـات والحيـوان والانسان.

الباب الثاني عشر

القول في المادة والصور

وكل واحد من هذه قوامه من شيئين : أحدهما منزلته منزلة خشب السرير ، والآخر منزلته منزلة خلقة السرير. فما منزلته منزلة الخشب هو المـــــادة والهيـــــولى ، وما منزلته خلقته فهو الصورة والهيئة [1]. وما جانس هذين من الأشـياء ، فالمـادة موضـوعة ليكـون بها قـوام الصـورة ، والصورة لا يمكن أن يكون لها قوام ووجـود بغـير المـادة. فالمـــادة وجودها لأجل الصـــورة ، ولو لم تكن صـــورة ما موجـودة ما كـانت المـادة. والصـورة وجودها لا لتوجد بها المادة ، بل ليحصل الجوهر المتجسم جوهرا بالفعل. فـان كل نـــوع انما يحصل موجـــودا بالفعل وبأكمل وجوديه إذا حصلت صورته [2]. وما دامت مادته موجـودة دون صـورته فانه انما هو ذلك النوع بالقوة. فان خشب السرير ما دام

1) المادة والصورة مبدأ الموجودات.
2) الشيء بالفعل يحصل من اجتماع المادة والصورة.

بلا صورة السرير ، فهو سرير بالقوة ، وإنما يصير ســريرا بالفعل إذا حصــلت صــورته في مادتــه. وأنقص وجــودي الشيء هو بمادته ، وأكمل وجوديه هو بالصورة [1].

وصور هذه الأجســام متضــادة ، وكل واحد منها يمكن أن يوجد وأن لا يوجد؛ ومـادة كل واحد منها قابلة لصـورته ولضــدها ، وممكنة أن توجد فيها صــورة الشــيء وأن لا توجد ، بل يمكن أن تكون موجودة في غير تلك الصــورة [2].

والأسطقســات أربع ، وصــورها متضــادة. ومــادة كل واحدة منها قابلة لصورة ذلك الاسطقس ولضـدها. ومـادة كل واحدة منها مشـتركة للجميع ، وهي مـادة لها ولسـائر الأجسام الأخر التي تحت الأجسـام السـماوية ، لأن سـائر ما تحت الســـماوية كائنة عن الاسطقســـات ، ومـــواد الاسطقســـات ليست لها مـــواد؛ فهي المـــواد الأولى المشتركة لكل ما تحت السماوية. وليس شــيء من هــذه يعطى صــورته من أول الأمر ، بل كل واحد من الأجســام فإنما يعطى أولا مادته الــتي بها وجــوده بــالقوة البعيــدة فقط ، لا بالفعل ، إذ كانت انما أعطيت مادته الأولى فقط ، ولذلك هي أبدا ساعية إلى ما يتجوهر به من الصورة؛ ثم لا يزال يـترقى شـيئا بعد شـيء إلى أن تحصل له صـورته التي بها وجوده بالفعل [3].

---

1) والشيء بالقوة هو المادة بدون صورة.

2) صور الأجسام متضادة.

3) أ ـ الاسطقسات أربع هي الماء والهواء والنار والتراب. وهي تشترك في المادة أو الهيولى وتتضاد في الصورة.

ب ـ من الاسطقسات تتكون الكائنات من معـادن ونبـات وحيـوان وانسان.

الباب الثالث عشر

القول في المقاسمة بين المراتب والأجسام الهيولانية

والموجودات الإلهية

وترتيب هذه الموجودات هو أن تقدم أولا أخسـها ، ثم الأفضل فالأفضل ، إلى أن تنتهي إلى أفضـــلها الـــذي لا أفضل منـه. فأخسـها المـادة الأولى المشـتركة؛ والأفضل منها الاسطقسـات ثم المعدنية ، ثم النبـات ، ثم الحيـوان غـير النـاطق ، ثم الحيـوان النـاطق ، وليس بعد الحيـوان الناطق أفضل منه [1].

وأما الموجودات التي سلف ذكرها ، فانها تــترتب أولا أفضلها ، ثم الأنقص ، فالأنقص إلى أن تنتهي إلى أنقصـها. وأفضـــلها وأكملها الأول. فأما الأشـــياء الكائنة عن الأول ، فأفضلها بالجملة هي التي

1) الموجودات الأرضية تتـدرج من الأنقص إلى الأكمل أي من الهيـولى إلى الانسان مرورا بالاسطقسات والمعادن والنبات والحيوان.

ليست بأجسام ولا هي من أجسام ، ومن بعدها السماوية. وأفضل المفارقة من هــذه هو الثــاني ، ثم ســائرها على الـــترتيب إلى أن ينتهي إلى الحــــادي عشـــــر. وأفضل السماوية هي السماء الأولى ، ثم الثانية ، ثم سائرها على الـــترتيب ، إلى أن ينتهي إلى التاسع وهو كـــرة القمـــر. والأشـياء المفارقة الـتي بعد الأول هي عشـرة والأجسـام السماوية في الجملة تسعة ، فجميعها تسعة عشرة [1].

وكل واحد من العشـرة متفـرد بوجـوده ومرتبته ، ولا يمكن أن يكون وجوده لشـيء آخر غـيره ، لأن وجـوده إن شاركه فيه آخر ، فذلك الآخر إن كان غير هذا ، فباضطرار أن يكون له شيء ما باين به هـذا ، فيكـون ذلك الشـيء ، الذي به باين هذا ، هو وجوده الذي يخصّه ، فيكون الوجود الذي يخصّ ذلك الشيء ليس هو الذي هو به هذا موجــود. فــإذن ليس وجودهما وجـودا واحــدا ، بل لكل واحد منهما شيء يخصّه. ولا أيضا يمكن أن يكون له ضد ، لأن ما كان له ضد فله مـادة مشـتركة بينه وبين ضـده ، وليس يمكن أن يكون لواحد من هذه مادة. وأيضا الـذي تحت نـوع ما ، إنما تكـثر أشخاصه لكـثرة موضـوعات صـورة ذلك النـوع. فما ليست له مادة فليس يمكن أن يكون في نوعه شـيء آخر غيره [2].

1) أما الموجـــودات الســـماوية فعلى العكس تتـــدرج من الأكمل إلى الأنقص أي من الله إلى العقل الفعال مرورا بالثواني التسعة (العقـول) ومن السماء الأولى إلى القمر (الأجسام).
2) الثواني ليس لها شريك ولا ضد.

وأيضا ، فـــإن الأضـــداد إنما تحـــدث إما من أشـــياء جواهرها متضادة ، أو من شيء واحد تكون أحواله ونسـبه في موضـعه متضـادة ، مثل الـبرد والحر ، فإنهما يكونـان من الشمس؛ ولكن الشـمس تكـون على حـالين مختلفين من القرب والبعد ، فتحدث بحاليها أحوالا ونسـبا متضـادة. فالأول لا يمكن أن يكـون له ضد ، ولا أحواله متضـادة من الثـاني ، ولا نسـبته من الثـاني نسـبة متضـادة. والثـاني لا يمكن فيه تضاد ، وكذلك لا في الثالث ، إلى أن ينتهي إلى العاشر [1].

وكل واحد من العشـــــــرة يعقل ذاته ويعقل الأول ، وليس في واحد منها كفاية في أن يكـــون فاضل الوجـــود بأن يعقل ذاته ، بل إنما يقتبس الفضيلة الكاملة بأن يعقل مع ذاته ذات السـبب الأول ، وبحسب زيـادة فضـيلة الأول على فضــــيلة ذاته يكـــــون بما عقل الأول فضل اغتباطه بنفسه أكثر من اغتباطه بها عند عقل ذاتـه. وكـذلك زيـادة التـــذاذه بذاته بما عقل الأول على التـــذاذه بما عقل من ذاته ، بحسب زيادة كمال الأول على كمال ذاته ، واعجابه بذاته وعشـــــقه لها بما عقل من الأول على اعجابه بذاته وعشــقه لها بما عقل من ذاته بحسب زيــادة بهــاء الأول وجماله على بهــاء ذاته وجمالهــا؛ فيكــون المحبــوب أولا والمعجب أولا عند نفسه بما هو يعقله من الأول ، وثانيا بما هو يعقله من ذاتـه. فـالأول أيضا بحسب الاضـافة إلى هذه العشرة هو المحبوب الأول والمعشوق الأول [2].

1) الأضـداد تحـدث من أشـياء جواهرها متضـادة ، أو من شـيء واحد أحواله متضادة.

2) كل من العقول الثـواني تكـون غبطته أو لذته المتولـدة من ادراكـه. الله أكبر من غبطته أو لذته المتولدة من ادراك ذاته.

الباب الرابع عشر

القول فيما تشترك الأجسام السماوية فيه

والأجسام السـماوية تسع جمل في تسع مـراتب؛ كل جملة يشتمل عليها جسم واحد كريّ. فـالأول منها يحتـوي على جسم واحد فقط ، فيتحـــرك حركة واحـــدة دورية سـريعة جـدا. والثـاني جسم واحد يحتـوي على أجسـام حركتها مشـتركة؛ ولها من الحركة اثنتـان فقط ، يشـترك جميعها في الحركتين جميعا. والثالث ، وما بعده إلى تمام السبعة ، يشتمل كل واحد منها على أجسام كثيرة مختلفة في حركات ما ، يخص كل واحد منها ويشترك في حركات أخر. وجنس هذه الأجسام كلها واحد ويختلف في الأنواع ، ولا يمكن أن يوجد في كل نـــوع منها إلا واحد بالعـــدد ، لا يشـــاركه شـــيء آخر في ذلك النـــوع. فـــإن الشـــمس لا يشاركها في وجودها شـيء آخر من نوعها ، وهي متفـردة بوجودها. وكذلك القمر وسائر الكواكب [1].

---

1) تشترك الأجسام السماوية في الجنس وتختلف في النوع.

وهــذه تجــانس الموجــودات الهيولانية ، وذلك أن لها موضوعات تشبه المواد الموضوعة لحمل الصور (وأشـياء هي لها كالصور ، بها تتجوهر) وقوام تلك الأشــياء في تلك الموضوعات. إلا أن صورها لا يمكن أن يكـون لها أضـداد. وموضوع كل واحد منها لا يمكن أن يكـون قـابلا لغـير تلك الصورة ، ولا يمكن أن يكون خلوا منهـا. ولأن موضـوعات صــورها لا عــدم فيها ، بوجه من الوجــوه ، ولا لصــورها أعـدام تقابلها ، فصـارت موضـوعاتها لا تعـوق صـورها أن تعقل وأن تكون عقولا بذواتها [1].

فـإذن كل واحد من هـذه بصـورته عقل بالفعل ، وهو يعقل بها ذات المفــارق الــذي عنه وجــود ذلك الجسم ، ويعقل الأول. وليس جميع ما يعقل من ذاته عقلا ، لأنه يعقل موضـوعه؛ وموضـوعه ليس بعقـل؛ وإذا كـان ليس يعقل بموضـوعه وإنما يعقل بصـورته ففيه معقـول ليس يعقل ، فهو يعقل كل ما به تجـوهره وتصـويره ، يعـني أن تجوهره بصـورة وموضـوع؛ وبهـذا يفـارق الأول والعشـرة المتخلصة من الهيــولى ومن كل موضــوع. ويشــاركه الانسان في المادة [2].

فهو أيضا مغتبط بذاته ليس بما يعقل من ذاته فقط ، ولكن بما يعقل من الأول ، ثم بما يعقل من ذات المفارق الـذي عنه وجـوده. ويشـارك المفـارق في عشـقه للأول وباعجابه بنفسه بما استفاد من بهاء

---

1) إن الأجسام السماوية تشبه الأجسام الهيولانية في العالم السفلي ، إذ لكل منها صورة ومادة.

2) صورة الجسم السـماوي عقل بالفعل يعقل الأول والثـاني المفـارق المقابل والجسم السماوي المؤلف من صورة وموضوع.

الأول وجماله؛ إلا أنه في كل ذلك دون العشرة بكثير. وله من كل ما تشاركه فيه الهيولانية أشرفها وأفضـلها ، وذلك أن له من الأشـكال أفضـلها وهي الكرية ، ومن الكيفيـات المرئيـات أفضـلها وهو الضـياء ، فـإن بعض أجزائها فاعلة للضـياء ، وهي الكـواكب ، وبعض أجزائها مشـفة بالفعل ، لأنها مملوءة نورا من أنفسها ومما تستفيده من الكواكب. ولها من الحركات أفضلها ، وهي الحركة الدورية [1].

وتشـارك العشـرة في أنها أعطيت أفضل ما تتجـوهر بها من أول أمرها وكـذلك اعظامها وأشـكالها والكيفيـات المرئية التي تخصها [2].

---

1) الجسم الســماوي أفضل من الجسم الهيــولاني الأرضي بشــكله الكروي وبكيفياته الضوئية وبحركته الدورية.

2) وبوجوده بالفعل في أول الأمر.

الفصل الخامس عشر

القول فيما فيه وإليه تتحرك الأجسام السماوية ولأي شيء تتحرك

وتفارقها في أنها لم يمكن فيها أن تعطى من أول أمرها الشـيء الـذي إليه تتحـرك. وما إليه تتحـرك هو من أيسر عـــرض يكـــون في الجسم وأخسه ، وذلك أن كل جسم فهو في أين ما. ونوع الأين الذي هو لهذا الجسم هو أن يكون حول جسم ما. وما نـوع أينه هـذا النـوع ، فليس يمكن أن تنتقل جملته عن جملة هــذا النــوع. ولكن لهــذا النوع أجـزاء ، وللجسم الـذي فيه أجـزاء. وليس جـزء من أجزاء هذا الجسم أولى بجـزء من أجـزاء الحـول ــ بل كل جـزء من الجسم يلـزم أن يكـون له كل جـزء من أجـزاء الحول ــ ولا أيضا أن يكـون أولى به في وقت دون وقت ، بل في كل وقت دائما. وكلما حصل جـزء من هـذا الجسم في جزء ما من الحول احتاج إلى أن يكون له الجزء الـذي قدامه قدامـــه. ولا يمكن أن يجتمع له الجـــزءان معا في وقت واحـــد؛ فيحتـــاج إلى أن يتخلى من الـــذي هو فيه ، ويصير إلى ما هو قدامه إلى أن يستوفي كل جزء من

أجــزاء الحــول. ولأن الجــزء الــذي كــان فيه ليس هو في وقت أولى به من وقت ، فيجب أن يكــون له ذلك دائمــا. وإذا لم يمكن أن يكون ذلك الجزء له دائما على أن يكــون واحدا بالعدد ، وصار واحــدا بــالنوع ، بــأن يوجد له حينا ولا يوجد له حينــا. ثم يعــود إلى شــبيهه في النــوع ، ثم يتخلى عنه أيضا مدة ، ثم يعود إلى شــبيه له ثــالث ، ويتخلى عنه أيضا مدة ، ثم يعود إلى شبيه له رابع؛ وهكذا له أبدا [1].

فظاهر أن (الأجزاء) التي عنها يتحرك ، ويتبــدل عليها ، ويعــود إليها ، هي في نســبتها إلى الجسم الــذي يوجد السماء حوله. ومعنى النسبة أنه يقال هذا لهذا ، وهذا من هــذا ، وما شــاكل ذلك من قبل أن معــنى الأين هو نســبة الجسم إلى سطح الجسم الــذي ينطبق عليــه. وكل جسم سمائي في كــرة ، أي دائــرة مجســمة. فــإن نسب أجزائه إلى أجــزاء ســطح ما تحتها من الأجســام تتبــدل دائما ، ويعود كل واحد منها في المستقبل من الزمان إلى أشــباه النسب التي سلفت [2].

ونســبة الشــيء إلى الشــيء هي أخس (عــرض) ما يوجد له وأبعد الأعــراض عن جــوهر الشــيء. ولكل واحد من الاكر والدوائر المجسمة التي فيها حركة على حيالها ، فاما أســرع أو أبطأ من حركة الأخــرى ، مثل كــرة زحل وكرة القمر ، فإن كرة القمر أسرع حركة من كــرة زحل [3].

____

1) الأجســام الســماوية تفــارق الثــواني في أنها متحركة والحركة دليل النقص.

2) الأين هو نسبة الجسم الى سطح الجسم الذي ينطبق عليه.

3) والنسبة هي أخس أعراض الشيء.

الباب السادس عشر

القول في الأحوال التي توجد بها الحركات الدورية

وفي الطبيعة المشتركة لها

وليس هذا التفاضل الذي في حركاتها بحسب اضافتها إلى غيرها ، بل لها في أنفســـها وبالـــذات. والبطيء من هذه بطيء دائما ، والسريع سريع دائما. وأيضا فـإن كثـيرا من الســماوية أوضــاعها من الوسط ومما تحتها مختلفة ، ولأجل اختلاف أوضـــاعها هـــذه منها ، تلحق كل واحد من هــذه خاصة بــالعرض ، أن يســـرع حـــول الأرض أحيانا ، ويبطئ أحيانـا؛ وهـذا سـوى سـرعة بعضـها دائما وابطـاء الآخر دائما ، على قيــاس حركة زحل إلى حركة القمر [1]. وانها تلحقها بإضـافة بعضـها إلى بعض ، بـأن تجتمع أحيانا وتفـــترق أحيانا ، ويكـــون بعضـــها من بعض على نسب متضادة. وأيضا فإنها تقرب أحيانا من بعض ما

---

1) حركات الأجسام السماوية تختلف في الجـوهر : بعضـها بطيء أصلا وبعضها سريع أصلا.

تحتها ، وتبعد أحيانا عنه ، وتظهر أحيانا وتســـتر أحيانـــا. فتلحقها هـــــذه المتضـــــادات لا في جواهرها ، ولا في الأعراض التي تقرب من جواهرها ، بل في نســبها ، وذلك مثل الطلوع والغـروب ، فإنهما نسـبتان لها إلى ما تحتها ، متضـــادتان. والجسم الســـماوي أول الموجـــودات الـــتي تلحقها أشياء متضادة. وأول الأشياء التي يكون فيها تضـادّ هي نسب هـــذا الجسم إلى ما تحته ، ونسب بعضـــها إلى بعض. وهـذه المتضـادات هي أخس المتضـادات؛ والتضـاد نقص في الوجـــود. فالجسم الســـمائي يلحقه النقص في أخس الأشياء التي شأنها أن توجد [1].

وللأجسام السماوية كلها أيضا طبيعة مشـتركة ، وهي التي صـارت تتحـرك كلها بحركة الجسم الأول؛ منها حركة دورية في اليوم والليلـة؛ وذلك أن هـذه الحركة ليست لما تحت السماء الأولى قسرا ، إذ كان لا يمكن أن يكـون في الســـماء شـــيء يجـــري قســـرا [2]. وبينها أيضا تبـــاين في جواهرها من غير تضاد ، مثل مباينة زحل للمشتري ، وكل كـوكب لكل كـوكب ، وكل كـرة لكل كـرة [3]. ثم يلحقها ، كما قلنا ، تضــــاد في نســــبها ، وان تتبــــدل تلك النسب ومتضاداتها وتتعـاقب عليها ، فتتخلى من نسـبة ما وتصـير إلى ضـــدها ، ثم تعـــود إلى ما كـــانت تخلت منه بـــالنوع لا بالعدد ، فيكون لها نسب تتكرر ، ويعود بعضها في مدة

1) وتختلف أيضا في العـــرض فتســـرع حـــول الأرض حينا وتبطئ حينا وتقترب من بعضها أو تبتعد وتظهر أحيانا وتستتر أحيانا.
2) للأجسام السماوية طبيعة مشتركة هي الحركة الدورية.
3) وهي تتباين في جواهرها من غير تضاد.

أطول وبعضها في مدة أقصر؛ وأحوال ونسب تتكرر أصلا. ويلحقها أن يكــون لجماعة منها نسب إلى شــيء واحد متضادة ، مثل أن يكون بعضـها قريبا من شـيء ، وبعضـها بعيدا من ذلك الشيء بعينه [1].

1) وهي تتضاد في نسبها.

الباب السابع عشر

القول في الأسباب التي عنها تحدث

الصورة الأولى والمادة الأولى

فيلزم عن الطبيعة المشتركة التي لها ، وجود المـادة الأولى المشتـركة لكل ما تحتها [1]؛ وعن اختلاف جواهرها ، وجود أجسام كثيرة مختلفة الجـواهر؛ وعن تضـاد نسـبها واضـافاتها ، وجـود الصـور المتضـادة [2]—؛ وعن تبـدل متضادات النسب عليها وتعاقبها ، تبـدل الصـور المتضـادة على المادة الأولى وتعاقبهـا؛ وعن حصـول نسب متضـادة واضـافات متعانـدة إلى ذات واحـدة في وقت واحد من جماعة أجسـام فيها اختلاط في الأشـياء ذات الصـور المتضـادة وامتزاجاتهـا؛ وأن يحـدث عن أصـناف تلك الامتزاجات المختلفة ، أنواع كثيرة من الأجسام؛

1) المادة الأولى للأجسام الأرضية تنتج عن الطبيعة المشتركة للأجسام السماوية.

2) الصـور المتضـادة للأجسـام الأرضـية تنتج عن تضـاد نسب الأجسـام السماوية واضافاتها.

ويحـدث عن إضـافاتها الـتي تكـرر وتعـود ، الأشـياء الـتي يتكـرر وجودها ويعـود بعضـها في مـدة أقصر وبعضـها في مدة أطـول؛ وعن ما لا يتكـرر من اضـافاتها وأحوالها ، بل إنما تحدث في وقت ما من غـير أن تكـون قد كـانت فيما سلف ، ومن غير أن تحدث فيما بعد الأشـياء الـتي تحـدث ولا تتكرر أصلا.

الباب الثامن عشر

القول في مراتب الأجسام الهيولانية في الحدوث

فيحدث أولا الاسطقسات ، ثم ما جانسها وقارنها من الأجسام ، متل البخارات وأصـنافها ، مثل الغيـوم والريـاح وسائر ما يحدث في الجو ، وأيضا مجانساتها حــول الأرض وتحتها ، وفي المــاء والنــار. ويحــدث في الاسطقســات ، وفي كل واحد من سائر تلك ، قـوى تتحـرك بها من تلقـاء أنفسها إلى أشياء شأنها أن توجد لها أو بها ، بغـير محـرك من خارج وقـوى يفعل بعضـها في بعض ، وقـوى يقبل بها بعضــها فعل بعض؛ ثم تفعل فيها الأجســام الســماوية ، ويفعل بعضها في بعض ، فيحدث من اجتماع الأفعال ، من هذه الجهات ، أصناف من الاختلاطات والامتزاجات كثيرة. والمقادير كثيرة ، مختلفة بغير تضاد ، ومختلفة بالتضاد [1].

1) الاسطقســات تحــدث أولا عن الهيــولى بفعل قــوى داخلية وقــوى سماوية تسبب فيها اختلاطات عدة.

فيلـــزم عنها وجـــود ســـائر الأجســـام. فتختلط أولا الاسطقسات بعضـها مع بعض ، فيحـدث من ذلك أجسـام كثيرة متضادة ، ثم تختلط هذه المتضـادة بعضـها مع بعض فقط ، وبعضها مع بعض ومع الاسطقسـات ، فيكـون ذلك اختلاطا ثانيا بعد الأول؛ فيحــــدث من ذلك أيضا أجســـام كثيرة متضادة الصور. ويحدث في كل واحد من هـذه أيضا قـــوى يفعل بها بعضـــها في بعض ، وقـــوى تقبل بها فعل غـيره (من الأجسـام) فيها ، وقـوى تتحـرك بها من تلقـاء نفسها بغير محرك من خارج. ثم تفعل فيها أيضا الأجسـام الســــــماوية ، ويفعل بعضـــــــها في بعض ، وتفعل فيها الاسطقسات ، وتفعل هي في الاسطقسات أيضا؛ فيحدث من اجتمـاع هـذه الأفعـال بجهـات مختلفة اختلاطـات أخر كثيرة تبعد بها عن الاسطقسات والمادة الأولى بعدا كثيرا. ولا تزال تختلط اختلاطا بعد اختلاط قبله ، فيكون الاختلاط الثاني أبدا أكثر تركيبا مما قبلـه؛ إلى أن تحـدث أجسـام لا يمكن أن تختلـــط؛ فيحــــدث من اختلاطها جسم آخر أبعد منها عن الاسطقسات. فيقف الاختلاط [1].

فبعض الأجسـام يحـدث عن الاختلاط الأول ، وبعضـها عن الثـاني ، وبعضـها عن الثـالث ، وبعضـها عن الاختلاط الآخر. والمعدنيات تحدث باختلاط أقرب إلى الاسطقسات وأقل تركيبا ويكـون بعـدها عن الاسطقسـات بـرتب أقـل. ويحــــدث النبـــات بـــاختلاط أكـــثر منها تركيبا وأبعد عن الاسطقسات برتب أكثر. والحيوان غير الناطق يحدث

1) ثم عن اختلاطات الاسطقسات المتكررة تحدث الأجسام.

باختلاط أكثر تركيبا من النبات. والانسـان وحـده هو الـذي يحدث عن الاختلاط الأخير [1].

ويحدث في كل واحد من هذه الأنواع قوى يتحرك بها من تلقاء نفسه ، وقوى يفعل بها في غـيره ، وقـوى يقبل بها فعل غـيره فيـه. والفاعل منها في غـيره فموضـوعات فعله ثلاثة بالجملة : منها ما يفعل فيه على الأكـثر ، ومنها ما يفعل فيه على الأقل ، ومنها ما يفعل فيه على التساوي. وكذلك القابل لفعل غـيره ، قد يكـون موضـوعا لثلاثة أصناف من الفاعلات : لما هو فاعل فيه على الأكثر ، ولما هو فاعل فيه على الأقل ، ولما هو فاعل فيه على التسـاوي. وفعل كل واحد في كل واحد اما بـأن يرفـده ، وإما بأن يضادّه [2].

ثم الأجســام الســماوية تفعل في كل واحد منها مع فعل بعضه في بعض ، بأن ترفد بعضها وتضاد بعضـها. وما ترفــده فانه ترفــده حينا وتضــاده حينا ، وما تضــاده فانه تضــاده حينا وترفــده أيضا حينا آخر ، فتقــترن أصــناف الأفعــال الســماوية فيها إلى أفعــال بعضــها في بعض؛ فيحدث من اقترانها امتزاجات واختلاطات أخر كثيرة جــدا ، يحدث في كل نـوع أشـخاص كثـيرة مختلفة جـدا. فهـذه هي أسباب وجود الأشياء الطبيعية الـتي تحت السـماوية [3].

---

1) المعادن تحـدث أولا عن اختلاطـات الاسطقسـات ثم يحـدث النبـات عن اختلاطـات أكـثر تركيبـا. ثم الحيـوان عن اختلاطـات أكـثر تركيبـا. والانسان يحدث عن الاختلاط الأخير.

2) كل من المعادن والنبات والحيوان والانسان يفعل وينفعل مع غيره.

3) الأجسـام السـماوية تفعل في الأجسـام الأرضـية فينتج عن كل نـوع أشخاص كثيرة مختلفة.

الباب التاسع عشر

القول في تعاقب الصور على الهيولى

وعلى هذه الجهات يكون وجودها أولا ، فإذا وجدت فسبيلها أن تبقى وتدوم. ولكن لما كان ما هذه حاله من الموجودات قوامه من مادة وصورة ، وكانت الصور متضادة ، وكل مادة فان شأنها أن توجد لها هذه الصورة وضدها ، صار لكل واحد من هذه الأجسام حق واستئهال بصورته ، وحق واستئهال بمادته [1].

فالذي له بحق صورته أن يبقى على الوجود الذي له ، والذي يحق له بحق مادته أن يوجد وجودا آخر مضادا للوجود الذي هو له ، وإذ كان لا يمكن أن يوفى هذين معا في وقت واحد ، لزم ضرورة أن يوفى هذا مرة ، فيوجد ويبقى مدة ما محفوظ الوجود ، ثم يتلف ويوجد ضده ، ثم يبقى ذلك ، وكذلك أبدا. فإنه ليس وجود أحدهما

1) الأجسام تتركب من صورة ومادة.

أولى من وجــود الآخر ، ولا بقــاء أحــدهما أولى من بقــاء الآخر ، إذ كان لكل واحد منهما قسم من الوجود والبقـاء [1].

وأيضا فـإن المـادة الواحـدة لما كـانت مشـتركة بين ضدين ، وكـان قـوام كل واحد من الضـدين بها ، ولم تكن تلك المـادة أولى بأحد الضـدين دون الآخر ، ولم يمكن أن تجعل لكليهما في وقت واحد ، لزم ضرورة أن تعطى تلك المادة أحيانا هذا الضد ، وأحيانا ذلك الضد ، ويعاقب بينهما ، فيصـير كل منهما كـأنّ له حقا عند الآخر ، ويكـون عنـده شيء ما لغيره ، وعند غـيره شـيء هو لـه؛ فعند كل واحد منهما حق ما ينبغي أن يصير إلى كل واحد من كل واحــد؛ فالعــدل في هــذا أن توجد مــادة هــذا ، فتعطى ذلك ، أو توجد مادة ذلك ، فتعطى هذا؛ ويعاقب ذلك بينهمـا. فلأجل الحاجة إلى توفية العدل في هذه الموجودات ، لم يكن أن يبقى الشـــيء الواحد دائما على أنه واحد بالعـــدد؛ فجعل بقــاؤه الــدهر كله على أنه واحد بــالنوع. ويحتــاج في أن يبقى واحدا بالنوع إلى أن يوجد أشـخاص ذلك النـوع مـدة ما ، ثم تتلف ويقوم مقامها أشخاص أخر من ذلك النــوع ، وذلك على هذا المثال دائما [2].

وهــذه منها ما هي اسطقســات ، ومنها ما هي كائنة عن اختلاطهـا. والـتي هي عن اختلاطها ، منها ما هي عن اختلاط أكـثر تركيبا ، ومنها ما هي عن اختلاط أقل تركيبـا. وأما الاسطقسات فان المضاد المتلف

1) وسبب تعاقب الصـور على المـادة هو تضـاد الصـور وقبـول المـادة لتلك الأضداد.
2) الأشخاص تتلف ولكن النوع يبقى.

لكل واحد منها هو من خـارج فقط ، إذ كـان لا ضد له في جملة جسمه [1]. وأما الكائن عن اختلاط أقل تركيبا ، فـان المضـادات الـتي فيه يسـيرة ، وقواها منكسـرة ضـعيفة؛ فلذلك صار المضاد المتلف له في ذاته ضـعيف القـوة ، لا يتلفه إلا بمعين من خـارج. فصـار المضـاد المتلف له أيضا من خـارج [2]. وما هو كـائن عن اختلاط أقل تركيبا ، فـان المضادات المتلفة له هي من خارج فقـط؛ والـتي هي عن اختلاط أكـــثر تركيبا ، فبكـــثرة المتضـــادات الـــتي فيها وتراكيبها ، يكون تضادها فيها في الأشياء المختلفة أظهر ، وقوى المتضادات التي فيها قوية ، ويفعل بعضها مع بعض معـا. أيضا فانها لما كـانت من أجـزاء غـير متشـابهة ، لم يمنع أن يكون فيها تضـاد ، فيكـون المضـاد المتلف له من خارج جسمه ومن داخله معا [3].

وما كـان من الأجسـام يتلفه المضـاد له من خـارج ، فانه لا يتحلل من تلقاء نفسه دائما ، مثل الحجارة والرمل ، فـــان هـــذين وما جانســـهما انما يتحللان من الأشـــياء الخارجة فقط [4]. وأما الأخر ، من النبـــات والحيـــوان ، فانهما يتحللان أيضا من أشـياء مضـادة لهما من داخـل. فلذلك إن كان شيء من هـذه مزمنا ، تبقى صـورته مـدة ما ، بأن يخلف بدل ما يتحلل من جسمه دائما وإنما يكون ذلك الشيء يقوم

---

1) المضاد المتلف للاسطقسات خارجي.
2) المضاد المتلف للكائنات الأقل تركيبا خارجي.
3) المضاد المتلف للكائنات الأكثر تركيبا داخلي وخارجي.
4) المعادن تتحلل بأشياء خارجية.

مقام ما يتحلل ، ولا يمكن أن يخلف شـيء بـدل ما يتحلل من جســـمه ويتصل بـــذلك الجسم ، إلا فيخلع عن ذلك الجسم صــورته الــتي كـانت له ، ويكتسي صــورة هــذا الجسم بعينه ، وذلك هو أن يتغذى ، حيث جعلت في هــذه الأجسام قوة غاذية وكل ما كان معينا لهـذه القـوة ، حـتى صار كل جسم من هذه الأجسـام يجتـذب إلى نفسه شـيئا ما مضـادا له ، فينسـلخ عنه تلك الضـدية ، ويقبله بذاته ، ويكسوه الصورة التي هو ملتحف بها ، إلى أن تخـور هـذه القــوة في طــول المــدة ، فيتحلل من ذلك الجسم ما لم يمكن القــوة الخــائرة أن تــرد مثله ، فيتلف ذلك الجسم فيه؛ فبهذا الوجه حفظ من محلله الـداخل. وأما من متلفه الخـارج ، فانه حفظ بـالآلات الـتي جعلت له ، بعضـها فيه وبعضها من خارج جسمه [1].

فيحتــاج ، في دوام ما يــدوم واحــدا بــالنوع ، إلى أن يقوم مقام ما تلف منه أشـخاص أخر تقـوم مقـام ما تلف منهــا. ويكــون ذلك : إما أن يكــون مع الأشــخاص الأول أشــخاص أحــدث وجــودا منها ، حــتى إذا تلف تلك الأول قـــامت هــــذه مقامها ، حـــتى لا يخلو في كل وقت من الأوقـات وجـود شـخص ما من ذلك النـوع ، إما في ذلك المكــان أو في مكــان آخر ، وإما أن يكــون الــذي يخلف الأول يحدث بعد زمان ما من تلف الأول حـتى يخلو زمـان ما من غـير أن يوجد فيه شـيء من أشـخاص ذلك النـوع. فجعل في بعضها قـوى يكـون بها شـبيهه في النـوع ، ولم تجعل في بعض. وما لم يجعل فيها فـــان أشـــباه ما يتلف منه تكونه

1) النبات والحيوان يتحللان بأشياء متضادة من الداخل.

الأجسام السماوية وحدها ، إذ هي مرافدة لاسطقسات له على ذلك؛ وما جعل فيه قـوة يكـون بها شـبيهه في النـوع فعلى تلك القوة التي له ـ ويقترن إلى ذلك فعل الأجسـام السماوية وسائر الأجسام الأخر ـ إما بـأن تفيد ، وإما بـأن تضاد مضـادة لا تبطل فعل القـوة بل تحـدث امتزاجا ، إما أن يعتدل به الفعل الكائن بتلك القـوة ، وإما أن يزيله عن الاعتدال قليلا أو كثـيرا بمقـدار ما لا يبطل فعلـه؛ فيحـدث عند ذلك ما يقوم مقام التـالف من ذلك النـوع. وكل هـذه الأشـــــياء إما على الأكـــــثر وإما على الأقل وإما على التســاوي. فبهــذا الوجه يــدوم بقــاء هــذا الجنس من الموجودات [1].

وكل واحد من هـــذه الأجســـام له حق واســـتئهال بصورته ، وحق واستئهال بمادته. فالذي له بحق صــورته ، أن يبقى على الوجـود الـذي له ولا يـزول؛ والـذي له بحق مادته ، هو أن يوجد وجودا آخر مقابلا مضادا للوجود الـذي هو له. والعـدل أن يـوفى كل واحد منهما اسـتئهاله. وإذ لا يمكن توفيته إيـاه في وقت واحد لـزم ضـرورة أن يـوفى هــذا مــرة وذلك مــرة ، فيوجد ويبقى مــدة ما محفــوظ الوجود ويتلف ويجد ضده ، وذلك أبدا [2].

والـذي يحفظ وجـوده إما قـوة في الجسم الـذي فيه صورته ، وإما قوة في جسم آخر هي آلة مقارنة له تخدمه في حفظ وجوده ، وإما أن

---
1) بقاء النوع يكون بالتوالد أو بالتكون بفعل الأجسام السماوية.
2) كـون الأشـياء وفسـادها يتم بتعـاقب الصـور المتضـادة على المـادة الواحدة.

يكـون المتـولي بحفظه جسم ما آخر يـرأس المحفـوظ ، وهو الجسم السـمائي أو جسم ما غـيره ، وإما أن يكـون باجتماع هذه كلها [1].

وأيضا فإن هذه الموجودات لما كانت متضادة ، كـانت مادة كل ضدين منها مشتركة. فالمادة الـتي لهـذا الجسم هي أيضا بعينها مادة لـذلك ، والـتي لـذلك هي أيضا بعينها لهـذا؛ فعند كل واحد منهما شـيء هو لغـيره ، وعند غـيره شيء هو له. فيكون كأن لكل واحد عند كل واحد من هذه الجهة حقا ما ينبغي أن يصير إلى كل واحد من كل واحــد. والمادة التي تكون للشيء عند غيره إما مـادة سـبيلها أن تكتسي صـــورة ذلك بعينها ، مثل الجسم الـــذي يغتـــذي بجسم آخر ، وإما مـادة سـبيلها أن تكتسي صـورة نوعه لا صورته بعينها ، مثل ناس يخلفون ناسا مضوا. والعـدل في ذلك أن يجد ما عند هذا من مادة ذلك ، فيعطى ذلك ، وما عند ذلك من مـادة هـذا ، فيعطى ذلك هـذا [2]. والـذي به يستوفي الشـيء مادته من ضـده وينـتزع به تلك منه ، إما أن يكـــون قـــوة فيه مقترنة بصـــورته في جسم واحد ، فيكون ذلك الجسم آلة له في هـذا غـير مفارقـة؛ وإما أن يكــون في جسم آخر ، فيكــون ذلك آلة له مفارقة تخدمه في أن ينتزع مادة من ضده فقط ، وتكون قوة أخرى في ذلك الجسم أو في آخر تكســوه ، إما صـــورته بعينها وإما صـورة نوعه ، وإما أن تكـون قـوة واحـدة تفعل الأمـرين جميعـا؛ وإما أن تكـون الـتي تسـتوفي له حقه جسـما آخر يرأسه ، إما سمائية أو غيرها ، وإما أن

1) حفظ الجسم يكون بقوة داخلية أو خارجية.
2) المادة تتخذ صورة الجسم أو صورة نوعه.

يكـون ذلك باجتمـاع هـذه كلهـا. والجسم انما يكـون مـادة للجسم الآخر ، إما بـأن يوفيه صـورته على التمـام ، وإما بأن يكسوه (جزءا) من صـورته وينقص من عزتـه. والـذي يكون (له) آلة تخدم جسما آخر فانما يكون آلة بأحد هذين أيضا : وذلك إما بصـورته على التمـام ، وإما بـأن يكسـوه قليلا من عزة صورته مقدار ما لا يخرجه ذلك من ماهيته ، مثل من يكسر من رعـــاع العبيد ويقمعهم حـــتى يـــذلّوا فيخدموا [1].

1) يسـتوفي الشـيء مادته من غـيره بفضل قـوة داخلية فيه أو قـوة خارجية.

الباب العشرون

القول في أجزاء النفس الانسانية وقواها

فإذا حدث الانسان ، فأول ما يحـدث فيه القـوة الـتي بها يتغـذى ، وهي القــوة الغاذيــة؛ ثم من بعد ذلك القــوة الــتي بها يحس الملمــوس ، مثل الحــرارة والــبرودة ، وسائرها التي بها يحس الطعوم ، والتي بها يحس الـروائح ، والــتي بها يحس الأصــوات ، والــتي بها يحس الألــوان والمبصرات كلها مثل الشعاعات. ويحدث مع الحـواس بها نـزوع إلى ما يحسه ، فيشـتاقه أو يكرهـه. ثم يحـدث فيه بعد ذلك قــوة أخــرى يحفظ بها ما ارتسم في نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس لها ، وهـذه هي القوة المتخيلة. فهذه تركب المحسوسات بعضـها إلى بعض ، وتفصل بعضــها عن بعض ، تركيبــات وتفصــيلات مختلفة ، بعضها كاذبة وبعضـها صـادقة؛ ويقـترن بها نـزوع نحو ما يتخيلـه. ثم من بعد ذلك يحـدث فيه القـوة الناطقة التي بها يمكن أن يعقل

المعقـولات ، وبها يمـيز بين الجميل والقـبيح ، وبها يحـوز الصناعات والعلوم ، ويقترن بها أيضا نـزوع نحو ما يعقله [1].

فالقوة الغاذية ، منها قوة واحـدة رئيسة ، ومنها قـوى هي رواضع لها وخـــدم. فـــالقوة الغاذية الرئيسة هي من سـائر أعضـاء البـدن في الفم؛ والرواضع والخـدم متفرقة في سـائر الأعضـاء؛ وكل قـوة من الرواضع والخـدم فهي في عضو ما من سـائر أعضـاء البـدن؛ والرئيسة منها هي بـالطبع مـدبرة لسـائر القـوى ، وسـائر القـوى يتشـبه بها ويحتذي بأفعالها حـذو ما هو بـالطبع غـرض رئيسـها الـذي في القلب ، وذلك مثل المعـــــدة والكبد والطحـــــال ، والأعضــاء الخادمة هــذه ، والأعضــاء الــتي تخــدم هــذه الخادمة ، والتي تخدم هذه أيضـا. فـإن الكبد عضو يـرؤس ويــرأس ، فإنه يــرأس بــالقلب ويــرؤس المــرارة والكلية وأشــباههما من الأعضــاء؛ والمثانة تخــدم الكلية ، والكلية تخدم الكبد ، والكبد يخـدم القلب؛ وعلى هـذا توجد سـائر الأعضاء [2].

والقوة الحاسة ، فيها رئيس وفيها رواضع؛ ورواضــعها هي هـــذه الحــــواس الخمس المشـــهورة عند الجميع ، المتفرقة في العيـــنين وفي الأذنين وفي ســـائرها. وكل واحد من هــذه الخمس يــدرك حسا ما يخصــه. والرئيسة منها هي التي اجتمع فيها جميع ما تدركه الخمس بأســرها ،

1) قـــوى النفس خمس تحـــدث على التـــوالي وهي الغاذية والحاسة والنزوعية والمتخيلة والناطقة.
2) القـــوة الغاذية رئيســـها القلب وأعضـــاؤها الكبد والكلية والمثانة والمرارة والمعدة والطحال.

وكأن هذه الخمس هي منذرات تلك ، وكأن هؤلاء أصحاب أخبار ، كل واحد منهم موكل بجنس من الأخبـار ، وبأخبـار ناحية من نواحي المملكة. والرئيسة كأنها هي الملك الذي عنـده تجتمع أخبـار نـواحي مملكته من أصـحاب اخبـاره. والرئيسة من هذه أيضا هي في القلب [1].

والقـوة المتخيلة ليس لها رواضع متفرقة في أعضـاء أخر ، بل هي واحـدة ، وهي أيضا في القلب ، وهي تحفظ المحسوسـات بعد غيبتها عن الحس. وهي بـالطبع حاكمة على المحسوســـات ومتحكمة عليها ، وذلك أنها تفـــرد بعضـها عن بعض ، وتـركب بعضـها إلى بعض ، تركيبـات مختلفة ، يتفق في بعضـــها أن تكـــون موافقة لما حسّ ، وفي بعضها أن تكون مخالفة للمحسوس [2].

وأما القـــوة الناطقة ، فلا رواضع ولا خـــدم لها من نوعها في ســائر الأعضـاء ، بل انما رئاســتها على ســائر القـــوى المتخيلـــة؛ والرئيسة من كل جنس فيه رئيس ومــرءوس. فهي رئيسة القــوة المتخيلة ، ورئيسة القــوة الحاسة الرئيسة منها ، ورئيسة القوة الغاذية الرئيسة منها [3].

والقــوة النزوعية ، وهي الــتي تشــتاق إلى الشــيء وتكرهه؛ فهي رئيسة ، ولها خدم. وهذه القوة هي التي بها تكون الارادة. فان الارادة هي نــزوع إلى ما أدرك وعن ما أدرك ، إما بالحس ، وإما

---

1) القــوة الحاسة رئيســها القلب أيضا وأعضــاؤها الحــواس الخمس ، تنقل أخبار العالم الخارجي إلى القلب.

2) القـــوة المتخيلة مركزها القلب ولا أعضــــاء لها ، تحفظ صـــور المحسوسات وتركبها.

3) القـــوة الناطقة مركزها القلب ، وهي تـــرأس الغاذية والمتخيلة والحاسة.

بالتخيل ، وإما بـــــالقوة الناطقة ، وحكم فيه أنه ينبغي أن يؤخذ أو يترك. والنزوع قد يكـون إلى علم شـيء ما ، وقد يكون إلى عمل شيء ما ، إما بالبـدن بأسـره ، وإما بعضو ما منه. والنزوع انما يكون بالقوة النزوعية الرئيسية [1].

والأعمال بالبدن تكون بقـوى تخـدم القـوة النزوعيـة. وتلك القوى متفرقة في أعضاء أعـدت لأن يكـون بها تلك الأفعال ، منها أعصـاب ومنها عضل سـارية في الأعضـاء ، والتي تكون بها الأفعال التي نزوع الحيوان والانسان إليها. وتلك الأعضاء مثل اليدين والرجلين وسائر الأعضــاء الــتي يمكن أن تتحرك بالارادة. فهذه القوى التي في أمثال هذه الأعضـــاء هي كلها جســـمانية وخادمة للقـــوة النزوعية الرئيسية التي في القلب [2].

وعلم الشـيء قد يكـون بـالقوة الناطقة ، وقد يكـون بالمتخيلة ، وقد يكون بالاحساس.

فإذا كان النزوع إلى علم شيء شأنه أن يدرك بالقوة الناطقة ، فـان الفعل الـذي ينـال به ما تشـوق من ذلك ، يكون بقـوة ما أخـرى في الناطقة ، وهي القـوة الفكرية ، وهي التي تكون بها الفكـرة والرؤية والتأمل والاسـتنباط [3].

---

1) القوة النزوعية هي محبة الأشياء أو كرهها وتـدعى الارادة الـتي هي نزوع إلى الشيء أو عنه.

2) مركز القـوة النزوعية في القلب كسـائر القـوى النفسـانية وأعضـاء الحركة في الجسم كالأعصــاب والعضــلات واليــدين والــرجلين خــدم للنزوعية.

3) القوة الناطقة تخدم النزوعية.

وإذا كان النزوع إلى علم شيء ما يـدرك باحسـاس ، كـان الـذي ينـال به فعلا مركبا من فعل بـدني ومن فعل نفساني في مثل الشيء الذي نتشـوق رؤيته ، فإنه يكـون برفع الأجفـان وبـأن نحـاذي أبصـارنا نحو الشـيء الـذي نتشوق رؤيتـه. فـإن كـان الشـيء بعيـدا مشـينا إليه ، وإن كان دونه حاجز أزلنا بأيدينا ذلك الحاجز. فهذه كلها أفعـال بدنية ، والاحساس نفسه فعل نفسـاني وكـذلك في سـائر الحواس [1].

وإذا تشـــوق تخيل شـــيء ما ، نيل ذلك من وجـــوه : أحـدها يفعل بـالقوة المتخيلة ، مثل تخيل الشــيء الـذي يـرجى ويتوقع ، أو تخيل شـيء مضى ، أو تمـني شـيء ما تركبه القوة المتخيلة؛ والثاني ما يرد على القــوة المتخيلة من احســاس شـــيء ما ، فتخيل إليه من ذلك أمر ما أنه مخوف أو مأمول ، أو ما يرد عليها من فعل القوة الناطقة [2].

فهذه القوى النفسانية.

---

1) القوة الحاسة تخدم النزوعية.
2) القوة المتخيلة تخدم النزوعية.

الباب الحادي والعشرون

القول في كيف تصير هذه القوى والأجزاء نفسا واحدة

فالغاذية الرئيسة شبه المادة للقوة الحاسة الرئيسة ، والحاسة صورة في الغاذية. والحاسة الرئيسة شـبه مـادة للمتخيلة ، والمتخيلة صـــــورة في الحاسة الرئيســــــة. والمتخيلة الرئيسة مـــــــادة للناطقة الرئيسة ، والناطقة صـورة في المتخيلة ، وليست مـادة لقـوى أخـرى ، فهي صـــورة لكل صـــورة تقـــدمتها. وأما النزوعية فإنها تابعة للحاسة الرئيسة والمتخيلة والناطقة ، على جهة ما توجد الحرارة في النار تابعة لما تتجوهر به النار [1].

فالقلب هو العضو الـرئيس الـذي لا يرأسه من البـدن عضو آخـــر. ويليه الــــدماغ ، فإنه أيضا عضو ما رئيس ، ورئاســــــته ليست رئاسة أولية ، لكن رئاسة ثانية ، وذلك لأنه يـرأس بـالقلب ، ويـرأس سـائر الأعضـاء؛ فإنه يخـدم القلب في نفسه ، وتخدمه سائر الأعضاء بحسب ما هو

1) تـــــراتب قـــــوى النفس : الناطقة فالمتخيلة فالحاسة فالغاذية ، والنزوعية تتبعها.

مقصـود القلب بـالطبع. وذلك مثل صـاحب دار الانسـان ، فإنه يخـدم الانسـان في نفسه وتخدمه سـائر أهل داره ، بحسب ما هو مقصـود الانسـان في الأمـرين ، كأنه يخلفه ويقوم مقامه وينوب عنه ويتبدل فيما ليس يمكن أن يبدله الرئيس ، وهو المسـتولي على خدمة القلب في الشـريف من أفعاله [1].

من ذلك ، أن القلب ينبــوع الحــرارة الغريزية ، فمنه تنبثّ في سـائر الأعضـاء ، ومنه تسـترفد ، وذلك بما ينبث فيها عنه من الـــروح الحيـــواني الغريـــزي في العـــروق الضـــوارب. ومما يرفـــدها القلب من الحـــرارة إنما تبقى الحـــرارة الغريزية محفوظة على الأعضـــاء. والـــدماغ هو الذي يعـدل الحـرارة الـتي شـأنها أن تنفذ إليها من القلب حتى يكون ما يصل إلى كل عضو من الحرارة معتـدلا لـه. وهــذا أول أفعــال الــدماغ وأول شــيء يخــدم به وأعمها للأعضاء [2].

ومن ذلك أن في الأعصـــاب صـــنفين : أحـــدهما آلات لرواضع القـــوة الحاسة الرئيسة الـــتي في القلب في أن يحس كل واحد منها الحسّ الخـــــــــاص به ، والآخر آلات الأعضاء التي تخـدم القـوة النزوعية الـتي في القلب ، بها يتأتّى لها أن تتحرك الحركة الارادية. والدماغ يخـدم القلب في أن يرفد أعصـــاب الحسّ ما يبقي به قواها الـــتي بها يتــأتى للرواضع أن تحسّ محفوظة عليهــا. والــدماغ أيضا يخدم القلب في أن يرفد أعصاب الحركة الارادية ما يبقي به قواها الــتي بها يتــأتى للأعضــاء الآلية الحركة الارادية التي تخدم بها القوة النزوعية التي في القلب. فـان كثـيرا من

1) تـراتب أعضـاء الجسم : القلب فالـدماغ فالكبد فالطحـال فأعضـاء التوليد.

2) القلب ينوع الحرارة الغريزية في الجسم أو الروح الحيوانية والدماغ يعدل تلك الحرارة.

هـذه الأعصـاب مغارزها الـتي منها يسـترفد ما يحفظ به قواها في الدماغ نفسـه؛ وكثـيرا منها مغارزها في النخـاع النافذ ، والنخـاع من أعلاه متصل بالـدماغ ، فـإن الـدماغ يرفدها بمشاركة النخاع لها في الارفاد [1].

ومن ذلك أن تخيل القـوة المتخيلة إنما يكـون مـتى كانت حرارة القلب على مقدار محدود. وكذلك فكر القوة الناطقة ، إنما يكون متى كانت حرارته على ضرب ما من التقدير ، أي فعل. وكذلك حفظها وتذكّرها للشيء.

فالـدماغ أيضا يخـدم القلب بـأن يجعل حرارته على الاعتدال الذي يجود به تخيله ، وعلى الاعتدال الـذي يجـود به فكـره ورويته ، وعلى الاعتـدال الـذي يجـود به حفظه وتذكره. فبجزء منه يعـدل به ما يصـلح به التخيل ، وبجـزء آخر منه يعدل به ما يصلح به الفكر ، وبجزء ثالث يعدل به ما يصلح الحفظ والذكر. وذلك أن القلب ، لما كـان ينبـوع الحـرارة الغريزية ، لم يمكن أن يجعل الحـرارة الـتي فيه الا قوية مفرطة ليفضل منه ما يفيض إلى سائر الأعضاء ، ولئلا يقصر أو يجـود. فلم تكن كـذلك في نفسـها إلا لغاية بقلبه. فلما كـان كـذلك وجب أن يعـدّل حرارته الـتي تنفذ إلى الأعضاء ، ولا تكون حرارته في نفسـها على الاعتـدال الذي تجود به أفعاله التي تخصه. فجعل الـدماغ لأجل ذلك بـالطبع بـاردا رطبا ، حـتى في الملمس ، بالاضـافة إلى سائر الأعضاء ، وجعلت فيه قوة نفسانية تصير بها حـرارة القلب على اعتدال محدود محصّل [2].

1) الأعصاب المنبثقة عن الدماغ نوعان : حاسة ومحركة.
2) الـدماغ يخـدم القلب عند ما يفكر أو يتخيل أو يتـذكر ويحفظ وذلك بتعديل حرارته.

والأعصــاب الــتي للحس والــتي للحركة ، لما كــانت أرضية بالطبع ، سريعة القبول للجفاف ، كانت تحتــاج إلى أن تبقى رطبة إلى لدانة مواتية للتمدد والتقاصر. و (لمــا) كانت أعصاب الحس محتاجة مع ذلك إلى الروح الغريــزي الذي ليست فيه دخانية أصلا و (لما) كان الــروح الغريــزي السالك في أجزاء الدماغ هذه حاله ، و (لمــا) كــان القلب مفرط الحرارة ناريها ، لم تجعل مغارزها التي بها تسترفد ما يحفظ قواها في القلب ، لئلا يســـرع الجفـــاف إليها فتتحلل وتبطل قواها وأفعالها ، جعلت مغارزها في الدماغ وفي النخاع لأنهما رطبان جــدا ، لتنفذ من كل واحد منهما في الأعصــاب رطوبة تبقيها على اللدونة ، وتســتبقي بها قواها النفســانية ، فبعض الأعصــاب يحتــاج فيها إلى أن تكون الرطوبة النافـذة فيها مائية لطيفة غـير لزجة أصلا ، وبعضها محتــاج فيها إلى لزوجة مــا. فما كــان منها محتاجا إلى مائية لطيفة غــير لزجة ، جعلت مغارزها في الــدماغ؛ وما كــان منها محتاجا فيها مع ذلك إلى أن تكــون رطوبتها فيها لزجة ، جعلت مغارزها في النخـــاع؛ وما كـــان منها محتاجا فيها إلى أن تكــون رطوبتها قليلة ، جعلت مغارزها أسفل الفقار والعصعص [1].

ثم بعد الـــدماغ الكبد ، وبعـــده الطحـــال ، وبعد ذلك أعضــاء التوليد ، وكل قــوة في عضو كــان شــأنها أن تفعل فعلا جســمانيا ينفصل به من ذلك العضو جسم ما ويصــير إلى آخر ، فإنه يلــزم ضــرورة ، إما أن يكــون ذلك الآخر متصلا بالأول ، مثل اتصال كثير من الأعصاب

1) الحكمة في جعل مغارز الأعصاب في الدماغ وليس في القلب.

بالدماغ وكثير منها بالنخاع ، أو أن يكون له طريق ومسيل متصل لـذلك العضو يجـري فيه ذلك الجسم ، وكـانت تلك القــــــوة خادمة له ، أو رئيسة ، مثل الفم والرئة والكلية والكبد والطحال وغير ذلك. وكلما احتـاجت أو كـان شـأنها أن تفعل فعلا نفســانيا في غيرها ، فإنه يلــزم ضــرورة أن يكون بينها مسيل جسماني ، مثل فعل الدماغ في القلب.

فــأول ما يتكــون من الأعضــاء القلب ، ثم الــدماغ ثم الكبد ثم الطحــال ، ثم تتبعها ســائر الأعضــاء. وأعضــاء التوليد متــأخرة الفعل من جميعهــا. ورئاســتها في البــدن يسيرة ، مثل ما يتبين من فعل الأنثيين وحفظهما الحرارة الذكرية والروح الذكري الشائعين من القلب في الحيــوان الذكر الذي له أنثيان.

والقــــوة الـــتي بها يكـــون التوليد ، منها رئيسة ومنها خادمــة. والرئيسة منها في القلب ، والخادمة في أعضــاء التوليد. والقوة التي يكون بها التوليد اثنتان : إحــداهما تعد المــادة الــتي يتكــون عنها الحيــوان الــذي له تلك القــوة ، والأخــرى تعطي صــورة ذلك النــوع من الحيــوان وتحــرّك المادة إلى أن تحصل لها تلك الصورة التي لذلك النوع [1]. والقوة الـتي تعـدّ المـادة هي قــوة الأنـثى ، والـتي تعطي الصورة هي قوة الذكر. فإن الأنثى هي أنـثى بـالقوة الـتي تعد بها المــادة ، والــذكر هو ذكر بــالقوة الــتي تعطي تلك المادة صورة ذلك النوع الذي له تلك القوة. والعضو الـذي يخــدم القلب في أن يعطي مــادة الحيــوان هو الــرحم ، والذي يخدمه في أن يعطي الصورة إما في الانســان وإما في غيره من

1) القــوة المولــدة مركزها القلب وخــدمها أعضــاء التوليد عند الــذكر والأنثى.

الحيوان العضو الذي يكوّن المني. فان المني إذا ورد على رحم الأنـثى فصـادف هنـاك دما قد أعـدّه الـرحم لقبـول صورة الانسان ، أعطى المني ذلك الـدم قـوة يتحـرّك بها إلى أن يحصل من ذلك الدم أعضـاء الانسـان وصـورة كل عضو ، وبالجملة صورة الانسان. فالدم المعـدّ في الـرحم هو مادة الانسـان ، والمـني هو المحـرّك لتلك المـادة إلى أن تحصل فيها الصورة [1].

ومنزلة المـــني من الـــدم المعد في الـــرحم منزلة الأنفحة الـــــــتي ينعقد عنها اللبن. وكما أن الأنفحة هي الفاعلة للانعقـاد في اللبن ، وليس هي جـزءا من المنعقد ولا مـادة ، كـذلك المـني ليس هو جـزءا من المنعقد في الرحم ، ولا مادة. والجـنين يتكـون عن المـني كما يتكـون الـرائب من الأنفحة ، ويتكـون عن دم الـرحم كما يتكـون الرائب عن اللبن الحليب ، والابريق عن النحاس.

والـذي يكـوّن المـني في الانســان هي الأوعية الـتي يوجد فيها المـني ، وهي العـروق الـتي تحت جلد العانة ، يرفدها في ذلك بعض الارفاد الأنثيان. وهذه العروق نافذة إلى المجرى الـذي في القضـيب ليسـيل من تلك العـروق إلى مجـرى القضـيب ، ويجـري في ذلك المجـرى إلى أن ينصب في الرحم ويعطي الدم الذي فيه مبـدأ قـوة يتغـير بها إلى أن تحصل به الأعضاء ، وصورة كل عضو ، وصورة جملة البدن.

والمني آلة الذكر [2].

---

1) المــرأة تعطي مـادة الجـنين وهو دم الـرحم والرجل يعطي صـورة الجنين أو المني.

2) يتكـون المـني في عـروق الأنثـيين وينصب في رحم الأنـثى ويعطي الدم صورة الجنين.

والآلات منها مواصـــلة ، ومنها مفارقة من ذلك ، مثل الطبيب؛ فان اليد آلة للطـبيب يعـالج بها ، والمبضع آلة له يعـالج بها ، والـدواء آلة يعـالج بهـا. فالـدواء آلة مفارقة ، وانما يواصله الطبيب حين ما يفعله ويصـنعه ويعطيه قـوة يحرك بها بـدن العليل إلى الصـحة. فـاذا حصـلت فيه تلك القوة ألقاها في جوف بدن العليل مثلا ، فتحـرك بدنه نحو الصحة. والطبيب الـذي ألقاها غـائب أو ميت مثلا. وكـذلك منزلة المـني. والمبضع (آلـة) لا تفعل فعلها الا بمواصـلة الطـــبيب المســـتعمل له ، واليد أشد مواصــــلة له من المبضع. وأما الـدواء فإنه يفعل بـالقوة الـتي فيه من غـير أن يكون الطبيب مواصلا له. كذلك المـني فإنه آلة للقـوة المولـدة الذكرية وتفعل مفارقـة. وأوعية المـني والأنثيـان آلة للتوليد مواصلة للبدن. فمنزلة العروق التي تكون آلات المــــني من القــــوة الرئيسة الــــتي في القلب منزلة يد الطبيب التي يعمل بها الدواء ويعطيه قوة محركة ويحـرك بها بـــدن العليل إلى الصــحة. فــان تلك العــروق الــتي يســتعملها القلب بــالطبع هي آلات في أن يعطي المــني القوة الـتي يحـرك بها الـدم المعد في الـرحم إلى صـورة ذلك النوع من الحيوان.

فاذا أخذ الدم عن المـني القـوة الـتي يتحـرك بها إلى الصـورة ، فـأول ما يتكـون القلب وينتظر بتكوينه تكـوين سـائر الأعضـاء ما يتفق أن يحصل في القلب من القـوى. فـان حصـلت فيه مع القــوة الغاذية القــوة الـتي بها تعد المادة ، تكون سائر الأعضاء على أنها أعضـاء أنـثى. فـان حصـلت فيه (القـوة) الـتي تعطي الصـورة ، تكـوّن سـائر الأعضاء على أنها أعضاء ذكر. وتحصل من تلك ، الأعضــاء المولدة التي للأنثى ، وتحصل من

هذه ، الأعضاء المولدة التي للذكر. ثم سائر القوى النفسانية الباقية تحدث في الأنثى على مثال ما هي في الذكر [1].

وهاتان القوتان ، أعني الذكرية والأنثوية ، هما في الانسان مفترقان في شخصين ، وأما في كثير من النبات فانهما مقترنان على التمام في شخص واحد ، مثل كثير من النبات الذي يتكون عن البذر؛ فإن النبات يعطي المادة ، وهي البذر ، ويعطي بها مع ذلك قوة يتحرك بها نحو الصورة. فإن البذر فيه استعداد لقبول الصورة ، وقوة يتحرك بها نحو الصورة. فالذي أعطاه الاستعداد لقبول الصورة هي القوة الأنثوية ، والذي أعطاه مبدأ يتحرك به نحو الصورة هو القوة الذكرية.

وقد يوجد أيضا في الحيوان ما سبيله هذا السبيل. ويوجد أيضا ما القوة الأنثوية فيه تامة ، وتقترن إليها قوة ما ذكرية ناقصة تفعل فعلها إلى مقدار ما ثم تجوز ، فتحتاج إلى معين من خارج ، مثل الذي يبيض بيض الريح ، ومثل كثير من أجناس السمك التي تبيض ثم تودع بيضها ، فيتبعها ذكورتها ، فتلقي عليها رطوبة. فأية بيضة أصابها من تلك الرطوبة شيء كان عنها حيوان ، وما لم يصبها ذلك فسدت.

وأما الانسان فليس كذلك. بل هاتان القوتان متميزتان في شخصين ، ولكل واحد منهما أعضاء تخصه : وهي الأعضاء المعروفة لهما ، وسائر الأعضاء فيهما مشتركة. وكذلك يشتركان في قوى النفس كلها سوى هاتين. وما يشتركان فيه من أعضاء فانه في الذكر أسخن ، وما كان منها فعله الحركة والتحريك ، فانه في الذكر أقوى

1) متى يكون الجنين ذكرا أو أنثى؟

حركة وتحريكا. والعوارض النفسانية ، فما كـان منها مـائلا إلى القــوة ، مثل الغضب والقســوة ، فانها في الأنــثى أضعف وفي الذكر أقوى. وما كان من العوارض مـائلا إلى الضــعف ، مثل الرأفة والرحمة ، فإنه في الأنــثى أقــوى. على أنه لا يمتنع أن يكـون في ذكـورة الانســان من توجد العــوارض فيه شــبيهة بما في الانــاث ، وفي الانــاث من توجد فيه هـذه شـبيهة بما هو في الـذكور. فبهـذه تفـترق الانـاث والـذكور في الانسـان [1]. وأما في القـوة الحاسة وفي المتخيلة وفي الناطقة ، فليسا يختلفان. فيحـدث عن الأشياء الخارجة رسوم المحسوسـات في القـوى الحاسة الـــتي هي رواضع ، ثم تجتمع المحسوســـات المختلفة الأجنـاس ، المدركة بـأنواع الحـواس الخمسة في القـوى الحاسة الرئيسة ، ويحدث عن المحسوسات الحاصـلة في هذه القوى رسـوم المتخيلات في القـوة المتخيلة ، فتبقى هنــاك محفوظة بعد غيبتها عن مباشــرة الحــواس لهــا. فتتحكم فيها ، فيفــرد بعضــها عن بعض أحيانا ، ويــركب بعضـها إلى بعض أصـنافا من التركيبـات كثـيرة بلا نهاية ، بعضها كاذبة وبعضها صادقة [2].

1) الرجل والمرأة يشتركان في قوى النفس وفي سـائر الأعضـاء عـدا أعضاء التوليد ، ويختلفان في كون الرجل أقوى جسما وأقسى قلبا.
2) لا فرق بين الرجل والمرأة في الاحساس والتخيل والعقل.

الباب الثاني والعشرون

القول في القوة الناطقة؛ وكيف تعقل وما سبب ذلك

ويبقى بعد ذلك أن ترتسم في الناطقة رسوم أصناف المعقولات والمعقولات الـتي شـأنها أن ترتسم في القـوة الناطقة ، منها المعقـولات الـتي هي في جواهرها عقـول بالفعل ومعقـــولات بالفعل : وهي الأشـــياء البريئة من المــادة؛ ومنها المعقـولات الـتي ليست بجواهرها معقولة بالفعل ، مثل الحجارة والنبات ، وبالجملة كل ما هو جسم أو في جسم ذي مادة ، والمادة نفسـها وكل شـيء قوامه بها. فان هذه ليست عقولا بالفعل ولا معقولات بالفعل [1]. وأما العقل الانساني الذي يحصل له بالطبع في أول أمـره ، فانه هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقـولات : فهي بالقوة عقل وعقل هيولاني ، وهي أيضا بالقوة

---

1) المعقولات صنفان :

1 ـ معقولات بريئة عن المادة وهي العقول بالفعل.

2 ـ معقولات ليست بريئة عن المادة وهي الأجسام.

معقولة. وسائر الأشياء التي في مادة ، أو هي مادة أو ذوات مادة ، فليست هي عقولا لا بالفعل ولا بالقوة ، ولكنها معقولات بالقوة ويمكن أن تصير معقولات بالفعل. وليس في جواهرها كفاية في أن تصير من تلقاء أنفسها معقولات بالفعل. ولا أيضا في القوة الناطقة ، ولا فيما أعطي الطبع كفاية في أن تصير من تلقاء نفسها عقلا بالفعل ، بل تحتاج أن تصير عقلا بالفعل إلى شيء آخر ينقلها من القوة إلى الفعل وإنما تصير عقلا بالفعل إذا حصلت فيها المعقولات [1].

وتصير المعقولات التي بالقوة معقولات بالفعل إذا حصلت معقولة للعقل بالفعل. وهي تحتاج إلى شيء آخر ينقلها من القوة إلى أن يصيّرها بالفعل. والفاعل الذي ينقلها من القوة إلى الفعل هو ذات ما ، جوهره عقل ما بالفعل ، ومفارق للمادة 2. فان ذلك العقل يعطي العقل الهيولاني ، الذي هو بالقوة عقل ، شيئا ما بمنزلة الضوء الذي تعطيه الشمس البصر. لأن منزلته من العقل الهيولاني منزلة الشمس من البصر. فان البصر هو قوة وهيئة ما في مادة ، وهو من قبل أن يبصر فيه بصر بالقوة ، والألوان من قبل أن تبصر مبصرة مرئية بالقوة. وليس في جوهر القوة الباصرة التي في العين كفاية في أن يصير بصرا بالفعل ، ولا في جوهر الألوان كفاية في أن تصير مرئية مبصرة بالفعل. فان الشمس تعطي البصر ضوءا يضاء به ، وتعطي الألوان ضوءا تضاء بها ، فيصير البصر ، بالضوء الذي استفاده من الشمس ،

---

1) العقل الهيولاني هيئة ما في مادة معدة لقبول رسوم المعقولات.
2) العقل الفعّال جوهر مفارق للمادة يجعل العقل المنفعل عقلا بالفعل ويجعل المعقولات بالقوة معقولات بالفعل.

مبصــرا بالفعل وبصــيرا بالفعــل؛ وتصــير الألــوان ، بــذلك الضوء ، مبصرة مرئية بالفعل بعد أن كانت مبصــرة مرئية بـــالقوة. كـــذلك هـــذا العقل الـــذي بالفعل يفيد العقل الهيـولاني شـيئا ما يرسـمه فيـه. فمنزلة ذلك الشـيء من العقل الهيـولاني منزلة الضـوء من البصـر. وكما أن البصر بالضوء نفسه يبصر الضوء الذي هو سبب ابصاره ، ويبصر الشمس التي هي سـبب الضـوء به بعينه ، ويبصر الأشـياء الـتي هي بـالقوة مبصـرة فتصـير مبصـرة بالفعل ، كـذلك العقل الهيولاني فانه بذلك الشيء الذي منزلته منه منزلة الضــوء من البصر ، يعقل ذلك الشــيء نفسه ، وبه يعقل العقل الهيولاني العقل بالفعل الذي هو سبب ارتسام ذلك الشيء في العقل الهيولاني ، وبه تصير الأشياء التي كانت معقولة بـــالقوة معقولة بالفعل ، ويصـــير هو أيضا عقلا بالفعل بعد أن كان عقلا بالقوة. وفعل هذا العقل المفارق في العقل الهيـــولاني شـــبيه فعل الشـــمس في البصر ، فلذلك سمي العقل الفعّال. ومرتبته من الأشـياء المفارقة الــتي ذكــرت من دون الســبب الأول المرتبة العاشــرة. ويسـمى العقل الهيـولاني العقل المنفعـل. وإذا حصل في القوة الناطقة عن العقل الفعّال ذلك الشيء الذي منزلته منها منزلة الضـــــوء من البصر ، حصـــــلت حينئذ عن المحسوســات الــتي هي محفوظة في القـــوة المتخيلة معقولات في القوة الناطقة؛ وتلك هي المعقــولات الأولى التي هي مشتركة لجميع الناس ، مثل أن الكل أعظم من الجزء ، وأن المقادير المساوية للشـيء الواحد متسـاوية (1).

1) العقل الفعّال يمنح القوة الناطقة شيئا منزلته منها منزلة الضوء من البصر. وحينئذ تحصل في القـوة الناطقة المعقـولات الأولى المشـتركة لجميع الناس مثل الكل أعظم من الجزء ... الخ.

المعقــولات الأول المشــتركة ثلاثة أصــناف : صــنف أوائل للهندسة العلمية ، وصـــــــنف أوائل يوقف بها على الجميل والقــبيح مما شــأنه أن يعمله الانســان ، وصــنف أوائل تســتعمل في أن يعلم بها أحــوال الموجــودات الـتي ليس شـــأنها أن يفعلها الانســـان ومباديها ومراتبها ، مثل الســماوات والســبب الأول وســائر المبــادي الأخر ، وما شأنها أن يحدث عن تلك المبادي [1].

1) أنواع المعقولات الأولى.

الباب الثالث والعشرون

القول في الفرق بين الارادة والاختيار ، وفي السعادة

فعند ما تحصل هـذه المعقـولات للانسـان يحـدث له بـالطبع تأمل ، ورويّة وذكر ، وتشـوق إلى الاسـتنباط ، ونزوع إلى بعض ما عقله أولا ، وشـوق إليه وإلى بعض ما يسـتنبطه ، أو كراهتـه. والـنزوع إلى ما أدركه بالجملة هو الارادة. فـان كـان ذلك (الـنزوع) عن احسـاس أو تخيّل ، سمي بالاسم العام وهو الارادة؛ وإن كان ذلك عن رويّة أو عن نطق في الجملة ، سـمي الاختيـار. وهـذا يوجد في الانسـان خاصّـة. وأما الـنزوع عن احسـاس أو تخيل فهو أيضا في سـائر الحيـوان. وحصـول المعقـولات الأولى للانسان هو استكماله الأول. وهذه المعقـولات إنما جعلت له ليستعملها في أن يصير إلى استكماله الأخير [1].

وذلك هو السعادة. وهي أن تصـير نفس الانسـان من الكمال في

1) الارادة هي نـزوع إلى ما ندركه بالاحسـاس والتخيل ، والاختيـار هو نزوع إلى ما ندركه بالعقل والروية فقط.

الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، وذلك أن تصير في جملة الأشـياء البريئة عن الأجسـام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائما أبـدا. إلا أن رتبتها تكـون دون رتبة العقل الفعّـال [1]. وإنما تبلغ ذلك بأفعال ما ارادية ، بعضها أفعال فكرية ، وبعضــها أفعـال بدنية ، وليست بـأي أفعـال اتفقت ، بل بأفعـال ما محدودة مقدرة تحصل عن هيئـات ما وملكـات ما مقـدّرة محـــدودة. وذلك أن من الأفعـــال الارادية ما يعـــوق عن السعادة. والسـعادة هي الخـير المطلـوب لذاته ، وليست تطلب أصلا ولا في وقت من الأوقات لينال بها شــيء آخر ، وليس وراءها شــيء آخر يمكن أن يناله الانســان أعظم منها [2]. والأفعال الارادية التي تنفع في بلوغ السـعادة هي الأفعال الجميلة. والهيئات والملكات التي تصدر عنها هـذه الأفعال هي الفضائل. وهذه خـيرات هي لا لأجل ذواتها بل انما هي خيرات لأجل السعادة. والأفعـال الـتي تعـوق عن السـعادة هي الشـرور ، وهي الأفعـال القبيحـة. والهيئـات والملكـات الـتي عنها تكـون هـذه الأفعـال هي النقـائص والرذائل والخسائس [3].

فـالقوة الغاذية الـتي في الانســان انما جعلت لتخـدم البدن ، وجعلت الحاسة والمتخيلة لتخـدما البـدن ولتخـدما القوة الناطقة. وخدمة هذه الثلاثة للبدن راجعة إلى خدمة القوة الناطقة ، إذ كان قوام الناطقة أولا بالبدن.

1) السعادة هي حصول المعقولات للانسان.
2) السعادة هي الخير المطلوب لذاته.
3) بالأعمال الفاضلة نبلغ السعادة.

والناطقة ، منها عملية ومنها نظريـــة. والعملية جعلت لتخدم النظرية ، والنظرية لا لتخدم شيئا آخر ، بل ليوصل بها إلى السعادة.

وهذه كلها مقرونة بالقوة النزوعيــة. والنزوعية تخــدم المتخيلة وتخــدم الناطقــة. والقــوى الخادمة المدركة ليس يمكنها أن توفي الخدمة والعمل إلا بالقوة النزوعيــة. فــان الاحساس والتخيل والروية ليست كافية في أن تفعل دون أن يقــترن إلى ذلك تشــوق إلى ما أحس أو تخيل أو روّى فيه وعلم ، لأن الارادة هي أن تــنزع بــالقوة النزوعية إلى ما أدركت.

فــإذا علمت بــالقوة النظرية الســعادة ونضــبت غاية وتشــوقت بالنزوعية واســتنبطت بــالقوة المرويّة ما ينبغي أن تعمل حتى تنال بمعاونة المتخيلة والحواس على ذلك ، ثم فعلت بآلات القوة النزوعية تلك الأفعال ، كانت أفعــال الانسان كلها خيرات وجميلــة. فــإذا لم تعلم الســعادة ، أو علمت ولم تنصب غاية بتشــوّق ، بل نصــبت الغاية شــيئا آخر سواها وتشوّقت بالنزوعية واستنبطت بالقوة المروية ما ينبغي أن تعمل حـــتى تنـــال الحـــواس والمتخيلة ، ثم فعلت تلك الأفعــال بــآلات القــوة النزوعية ، كــانت أفعــال ذلك الانسان كلها غير جميلة [1].

1) تتحقق الســـعادة إذا أدركت بالعقل وتشـــوقت بالنزوعية وفعل ما ينبغي أن يفعل بآلات النزوعية.

الباب الرابع والعشرون

القول في سبب المنامات

والقوة المتخيلة متوسطة بين الحاسة وبين الناطقــة؛ وعند ما تكـــــون رواضع الحاسة كلها تحس بالفعل وتفعل أفعالها ، تكون القـوة المتخيلة منفعلة عنها ، مشـغولة بما تـورده الحـواس عليها من المحسوسـات وترسـمه فيهـا. وتكون هي أيضا مشغولة بخدمة القـوة الناطقة ، وبارفـاد القوة النزوعية.

فإذا صارت الحاسة والنزوعية والناطقة على كمالاتها الأول ، بـــأن لا تفعل أفعالها ، مثل ما يعـــرض عند حـــال النوم ، انفردت القوة المتخيلة بنفسها ، فارغة عما تجدّده الحــواس عليها دائما من رســوم المحسوسـات ، وتخلت عن خدمة القوة الناطقة والنزوعية ، فتعـود إلى ما تجـده عنـدها من رسـوم المحسوسـات محفوظة باقية ، فتفعل فيها بـــأن تـــركّب بعضـــها إلى بعض ، وتفصل بعضـــها عن بعض. ولها ، مع حفظها رســـوم المحسوســـات وتـــركيب بعضها إلى بعض ، فعل ثالث :

وهو المحاكاة [1]. فإنها خاصة من بين سائر قـوى النفس ، لها قــدرة على محاكــاة الأشــياء المحسوسة الــتي تبقى محفوظة فيهــا. فأحيانا تحــاكي المحسوســات بــالحواس الخمس ، بـــتركيب المحسوســـات المحفوظة عنـــدها المحاكية لتلك ، وأحيانا تحاكي المعقولات ، وأحيانا تحاكي القـوة الغاذيـة. وأحيانا تحـاكي القـوة النزوعية ، وتحـاكي أيضا ما يصــادف البـــدن عليه من المـــزاج. فانها ، مــتى صــادفت مــزاج البــدن رطبا ، حــاكت الرطوبة بــتركيب المحسوسات التي تحاكي الرطوبة ، مثل المياه والسباحة فيها. ومتى كان مزاج البـدن يابسا ، حـاكت يبوسة البـدن بالمحسوسات التي شأنها أن تحاكي بها اليبوسـة. وكـذلك تحـــاكي حـــرارة البـــدن وبرودته ، إذا اتفق في وقت من الأوقـات أن كـان مزاجه في وقت ما حـارا أو بـاردا. وقد يمكن ، إن كانت هذه القـوة هيئة وصـورة في البـدن ، أن يكـون البـدن ، إذا كـان على مـزاج ما ، أن يفعل (البـدن) فيها ذلك المزاج. غير أنها لما كانت نفسانية ، كــان قبولها لما يفعل فيها البــــدن من المـــــزاج على حسب ما في طبيعتها أن تقبله ، لا على حسب ما في طبيعة الأجســـام أن تقبل المزاجــات. فــان الجسم الــرطب ، مــتى فعل رطوبة في جسم ما ، قبل الجسم المنفعل الرطوبة ، فصـــار رطبا مثل الأول. وهـــذه القـــوة ، مـــتى فعل فيها رطوبة أو أدنيت اليها رطوبة ، لم تصر رطبة ، بل تقبل تلك الرطوبة بما تحاكيها من المحسوسات. كما أن القــوة الناطقة ، مـــــــتى قبلت الرطوبة ، فإنها انما تقبل ماهية الرطوبة بأن تعقلها ، ليست

1) للمتخيلة ثلاثة أفعـال : حفظ رسـوم المحسوسـات وتـركيب بعضـها إلى بعض والمحاكاة.

الرطوبة نفسها؛ كذلك هذه القوة ، متى فعل فيها شيء ، قبلت ذلك عن الفاعل على حسب ما في جوهرها واستعدادها أن تقبل ذلك [1].

فـأي شـيء ما فعل فيها ، فإنها ان كـان في جوهرها أن تقبل ذلك الشــيء ، وكـــان مع ذلك في جوهرها أن تقبله كما ألقي إليها ، قبلت ذلك بـوجهين : أحـدهما بـأن تقبله كما هو وكما ألقي إليها ، والثـاني بـأن تحـاكي ذلك الشيء بالمحسوسات التي شأنها أن تحاكي ذلك الشيء. وان كـان في جوهرها أن لا تقبل الشـيء كما هو ، قبلت ذلك بأن تحاكي ذلك الشيء بالمحسوسات التي تصـادفها عندها مما شـأنها أن تحـاكي ذلك الشـيء. ولأنها ليس لها أن تقبل المعقولات معقولات ، فان القـوة الناطقة ، مـتى أعطتها المعقولات التي حصـلت لـديها ، لم تقبلها كما هي في القــــــــوة الناطقة ، لكن تحاكيها بما تحاكيها من المحسوسات. ومتى أعطاها البدن المـزاج الـذي يتفق أن يكـون له في وقت ما ، قبلت ذلك المـزاج بالمحسوسـات الـتي تتفق عنـدها مما شـأنها أن تحـاكي ذلك المـزاج [2]. ومتى أعطيت شيئا شـأنه أن يحس ، قبلت ذلك أحيانا كما أعطيت ، وأحيانا بأن تحاكي ذلك المحسوس بمحسوسات اخر تحاكيه [3].

وإذا صــادفت (المخيلــة) القــوة النزوعية مســتعدة استعدادا قريبا لكيفية (ما أو هيئة) ، مثل غضب أو شــهوة أو لانفعــال ما بالجملة ، حــاكت القــوة النزوعية بــتركيب الأفعال التي شأنها أن تكون عن تلك الملكة التي

---

1) تحاكي المتخيلة مزاج البدن بالمحسوسات المناسبة لذلك المزاج.

2) المتخيلة لا تقبل الأشــياء كما هي بل تحاكيها بالمحسوســات الــتي لديها.

3) تحاكي المتخيلة المحسوسات الخارجية بالمحسوسات التي لديها.

توجد في القـــوة النزوعية معـــدة ، في ذلك الـــوقت ، لقبولهـــا. ففي مثل هـــذا ، ربما أنهضت القـــوى الرواضع الأعضـــاء الخادمة لأن تفعل في الحقيقة الأفعـــال الـــتي شـأنها أن تكـون بتلك الأعضـاء عند ما تكـون في القـوة النزوعية تلك الأفعال. فتكون القوة المتخيلة بهـذا الفعل ، أحيانا ، تشبه الهازل ، وأحيانا تشـبه الميت. ثم ليس بهـذا فقط ، ولكن إذا كان مزاج البدن مزاجا شأنه أن يتبع ذلك المزاج انفعال ما في القوة النزوعية ، حاكت ذلك المـزاج بأفعـال القـوة النزوعية الكائنة عن ذلك الانفعـال ، وذلك من قبل أن يحصل ذلك الانفعـال. فتنهض الأعضـاء الـتي فيها القـــوة الخادمة للقـــوة النزوعية ، نحو تلك الأفعـــال بالحقيقة. من ذلك ، أن مزاج البـدن إذا صـار مزاجا شـأنه أن يتبع ذلك المـزاج في القـوة النزوعية شـهوة النكـاح ، حـاكت (المتخيلـة) ذلك المـزاج بأفعـال النكـاح؛ فتنهض أعضـاء هـذا الفعل للاسـتعداد نحو فعل النكـاح ، لا عن شـهوة حاصـلة في ذلك الـوقت ، لكن لمحاكـاة القـوة المتخيلة للشهوة بافعـال تلك الشـهوة. وكـذلك في سـائر الانفعـالات ، وكـذلك ربما قـام الانسـان من نومه فضـرب آخر ، أو قام ففرّ من غير أن يكون هنـاك وارد من خـارج. فيقـوم ما تحاكيه القـوة المتخيلة من ذلك الشـيء مقـام ذلك الشيء لو حصل في الحقيقة [1].

وتحاكي أيضا القوة الناطقة بأن تحـاكي ما حصل فيها من المعقـولات بالأشـياء الـتي شـأنها أن تحـاكي بها المعقولات. فتحاكي المعقولات التي

1) المتخيلة تحـاكي ما في القـوة النزوعية من انفعـالات وشـهوات بأفعال حقيقية جسدية كالنكاح والضرب والصراخ ... الخ.

في نهاية الكمـال ، مثل السـبب الأول والأشـياء المفارقة للمادة والسـماوات ، بأفضل المحسوسـات وأكملها ، مثل الأشـياء الحسـنة المنظـر. (وتحـاكي) المعقـولات الناقصة بـأخسّ المحسوسـات وأنقصـها ، مثل الأشـياء القبيحة المنظر. وكذلك تحـاكي تلك (القـوة) سـائر المحسوسـات اللذيذة المنظر [1].

والعقل الفعّال ، لما كان هو السـبب في أن تصـير به المعقولات التي هي بالقوة معقـولات بالفعل ، وأن يصـير ما هو عقل بالقوة عقلا بالفعل ، وكان ما سبيله أن يصـير عقلا بالفعل هي القوة الناطقة ، وكانت الناطقة ضـربين : ضربا نظريا وضربا عمليا ، وكانت العملية هي التي شـأنها أن تفعل الجزئيـات الحاضـرة والمسـتقبلة ، والنظرية هي الـتي شـأنها أن تعقل المعقـولات الـتي شـأنها أن تعلم ، وكـانت القـوة المتخيلة مواصـلة لضـربي القـوة الناطقة ، فـان الـذي تنـال القـوة الناطقة عن العقل الفعّـال ـ وهو الشـيء الـذي منزلته الضـياء من البصر ـ قد يفيض منه على القـوة المتخيلـة. فيكـون للعقل الفعّـال في القـوة المتخيلة فعل ما ، تعطيه أحيانا المعقولات التي شـأنها أن تحصل في الناطقة النظرية ، وأحيانا الجزئيـات المحسوسات التي شأنها أن تحصل في الناطقة العملية ، فتقبل (القـوة المتخيلـة) المعقـولات بما يحاكيها من المحسوسات التي تركبها هي. وتقبل الجزئيات أحيانا بـأن تتخيلها كما هي ، وأحيانا بـأن تحاكيها بمحسوسـات أخر ، وهذه هي التي شأن الناطقة العملية أن

1) تحاكي المتخيلة المعقولات التي حصلت في القوة الناطقة مثل الله والسماوات بأحسن المحسوسات وأكملها وأجملها.

تعملها بالروية. فمنها حاضرة ، ومنها كائنة في المستقبل. إلا أن ما يحصل للقـوة المتخيلة من هـذه كلها ، بلا توسط رويـة. فلـذلك يحصل في هـذه الأشـياء بعد أن يسـتنبط بالرويّـة. فيكـون ما يعطيه العقل الفعّـال للقـوة المتخيلة من الجزئيات ، بالمنامات والرؤيات الصادقة؛ وبما يعطيها من المعقـــولات الـــتي تقبلها بـــأن يأخذ محاكاتها مكانها بالكهانات على الأشـياء الإلهيـة. وهـذه كلها قد تكـون في النـــوم ، وقد تكـــون في اليقظة إلا أن الـــتي تكـــون في اليقظة قليلة وفي الأقل من الناس ، فأما التي في النـــوم فأكثرها الجزئيات ، وأما المعقولات فقليلة [1].

1) تسـتطيع المخيلة أيضا أن تتصل بالعقل الفعّـال إذا قـويت ، وتتلقى منه الجزئيـات والمعقـولات ويحصل لها ذلك بلا روية ، في حين يحصل للناطقة بالروية.

الباب الخامس والعشرون

القول في الوحي ورؤية الملك

وذلك : أن القــوة المتخيلة إذا كــانت في انســان ما قوية كاملة جدا ، وكانت المحسوسـات الـواردة عليها من خـارج لا تسـتولي عليها اسـتيلاء يسـتغرقها بأسـرها ، ولا اخدمتها للقوة الناطقة ، بل كان فيها ، مع اشتغالها بهذين ، فضل كثـير تفعل به أيضا أفعالها الـتي تخصّـها ، وكـانت حالها عند اشتغالها بهذين في وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منهما في وقت النوم ، و (لما كـان) كثـير من هـذه الـتي يعطيها العقل الفعّـال ، فتتخيلها القـوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوســات المرئية ، فـــان تلك المتخيلة تعود فترتسم في القوة الحاسة [1].

فإذا حصلت رسومها في الحاسة المشتركة ، انفعلت عن تلك الرسـوم القـوة الباصـرة ، فارتسـمت فيها تلك ، فيحصل عما في القوة

1) إذا قــويت المتخيلة عند امــرئ تحللت أثنــاء اليقظة من ســلطان الحــواس والناطقة واتصــلت بالعقل الفعّــال وحــاكت ما يعطيه إياها برسوم المحسوسات المرئية.

الباصـرة منها رسـوم تلك في الهـواء المضـيء المواصل للبصر المنجاز بشـعاع البصـر. فـإذا حصـلت تلك الرسـوم في الهـــواء عـــاد ما في الهـــواء ، فيرتسم من رأس في القوة الباصرة التي في العين ، وينعكس ذلك إلى الحـاس المشـترك والى القـوة المتخيلـة. ولأن هـذه كلها متّصـلة بعضها ببعض ، فيصير ، ما أعطاه العقل الفعّال من ذلك ، مرئيا لهذا الانسان.

فـإذا اتفق أن كـانت الـتي حـاكت بها القـوة المتخيلة أشياء محسوسات في نهاية الجمال والكمال ، قـال الـذي يرى ذلك أن للّه عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشـياء عجيبة لا يمكن وجود شيء منها في سائر الموجـودات أصـلا. ولا يمتنع أن يكـــون الانســـان ، إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمــــــال ، فيقبل ، في يقظته ، عن العقل الفعّــــــال ، الجزئيـــــات الحاضـــــرة والمســــتقبلة ، أو محاكياتها من المحسوســـات ، ويقبل محاكيـــات المعقـــولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ، ويراها. فيكون له ، بما قبله من المعقـولات ، نبـوة بالأشـياء الالهيـة. فهـذا هو أكمل المراتب التي تنتهي إليها القوة المتخيلة ، وأكمل المراتب التي يبلغها الانسان بقوته المتخيلة [1].

ودون هذا : من يرى جميع هـذه ، بعضـها في يقظته ، وبعضها في نومه؛ ومن يتخيل في نفسه هذه الأشـياء كلها لا يراها ببصـره. ودون هـذا من يـرى جميع هـذه في نومه فقــط. وهـؤلاء تكـون أقـاويلهم الـتي يعـبرون بها أقاويل محاكية ورموزا وألغازا وابدالات وتشبيهات.

---

1) اذا كان ما يعطيه العقل الفعّـال للمتخيلة معقـولات شـريفة وكـانت تمثيلاتها في المتخيلة في نهاية الجمال والكمال قـال الـذي يراها إن له نبوة بالأشياء الإلهية.

ثم يتفاوت هؤلاء تفاوتا كثـيرا : فمنهم من يقبل الجزئيـات ويراها في اليقظة فقط ولا يقبل المعقـــولات؛ ومنهم من يقبل المعقـولات ويراها في اليقظة ، ولا يقبل الجزئيـات؛ ومنهم من يقبل بعضها ويراها دون بعض؛ ومنهم من يــرى شيئا في يقظته ولا يقبل بعض هـذه في نومـه؛ ومنهم من لا يقبل شـــيئا في يقظته ، بل إنما يقبل ما يقبل في نومه فقط ، فيقبل في نومه الجزئيـــات ولا يقبل المعقـــولات ، ومنهم من يقبل شيئا من هذه وشيئا من هــذه؛ ومنهم من يقبل شـيئا من الجزئيـات فقـط؛ وعلى هـذا يوجد الأكـثر. والناس أيضا يتفاضلون في هذا [1].

وكل هذه معاونة للقوة الناطقة. وقد تعرض عــوارض يتغيّر بها مزاج الانسان ، فيصير بـذلك معـدا لأن يقبل عن العقل الفعّــال بعض هــذه في وقت اليقظة أحيانا ، وفي النوم أحيانا. فبعضهم يبقى ذلك فيهم زمانا ، وبعضهم إلى وقت ما ثم يــزول. وقد تعــرض أيضا للانســان عــوارض ، فيفسد بها مزاجه وتفسد تخاييله؛ فـيرى أشـياء مما تركبه القوة المتخيلة على تلك الوجـوه مما ليس لها وجـود ، ولا هي محاكـــاة لموجـــود. وهــؤلاء الممـــرورون والمجـــانين وأشباههم [2].

---

1) تفاوت الناس في قبول ما يفيض على مخيلتهم من العقل الفعّال.

2) قد تفسد المتخيلة فـتركب أشـياء ليس لها وجــود وليست محاكـاة لموجود كما هو حال المجانين والممرورين.

الباب السادس والعشرون

القول في احتياج الانسان إلى الاجتماع والتعاون

وكل واحد من النـاس مفطـور على أنه محتـاج ، في قوامه ، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته ، إلى أشـياء كثـيرة لا يمكنه أن يقـوم بها كلها هو وحـده ، بل يحتـاج إلى قـوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليـه. وكل واحد من كل واحد بهـذه الحـال. فلـذلك لا يمكن أن يكـون الانسان ينال الكمال ، الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية ، الا باجتماعـات جماعة كثـيرة متعـاونين ، يقـوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتـاج إليه في قوامـه؛ فيجتمع ، مما يقـوم به جملة الجماعة لكل واحد ، جميع ما يحتـاج إليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمـال. ولهـذا كـثرت أشـخاص الانسـان ، فحصـلوا في المعمـورة من الأرض ، فحـدثت منها الاجتماعات الانسانية [1].

فمنها الكاملة ، ومنها غـير الكاملـة. والكاملة ثلاث : عظمى ووسطى وصغرى.

1) حاجة الناس إلى بعضهم البعض أساس الاجتماع.

فـالعظمى ، اجتماعـات الجماعة كلها في المعمـورة؛ والوســـطى ، اجتمـــاع أمة في جـــزء من المعمـــورة؛ والصغرى ، اجتماع أهل مدينة في جـزء من مسـكن أمة [1].

وغـــير الكاملة : اجتمـــاع أهل القرية ، واجتمـــاع أهل المحلة ، ثم اجتمـــاع في ســـكّة ، ثم اجتمـــاع في مـــنزل. وأصـــــغرها المـــــنزل. والمحلة والقرية هما جميعا لأهل المدينـــة؛ الا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينـــة؛ والمحلة للمدينة على أنها جزؤهـا. والسـكة جـزء المحلـة؛ والمـنزل جـزء السـكة؛ والمدينة جـزء مسـكن أمة والأمة جزء جملة أهل المعمورة [2].

فـــالخير الأفضل والكمـــال الأقصى انما ينـــال أولا بالمدينة ، لا باجتماع الذي هو أنقص منها. ولما كـان شـأن الخـــير في الحقيقة أن يكـــون ينـــال بالاختيـــار والارادة ، وكـذلك الشـرور انما تكـون بـالارادة والاختيـار ، أمكن أن تجعل المدينة للتعاون على بلـوغ بعض الغايـات الـتي هي شـــرور؛ فلـــذلك كل مدينة يمكن أن ينـــال بها الســـعادة. فالمدينة التي يقصد بالاجتمـاع فيها التعـاون على الأشـياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة ، هي المدينة الفاضلة. والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السـعادة هو الاجتمـاع الفاضـل. والأمة الـتي تتعـاون مـدنها كلها على ما تنـال به السعادة هي الأمة الفاضلة. وكـذلك المعمـورة الفاضـلة ، انما تكـون إذا كـانت الأمم الـتي فيها تتعـاون على بلـوغ السعادة [3].

______

1) أنواع الاجتماعات الكاملة ثلاثة : المعمورة والأمة والمدينة.
2) أنواع الاجتماعات غير الكاملة : القرية والمحلة والسكة والمنزل.
3) المدينة أصغر اجتمـاع يـوفر السـعادة ، والمدينة الفاضـلة هي الـتي يتعاون أهلها على نيل السعادة وكذلك الأمة والمعمورة.

والمدينة الفاضلة تشبه البـدن التـام الصـحيح ، الـذي تتعـاون أعضـاؤه كلها على تتميم حيـاة الحيـوان ، وعلى حفظها عليـه. وكما أن البـدن أعضـاؤه مختلفة متفاضـلة الفطـــرة والقـــوى ، وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب ، وأعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك الرئيس ، وكل واحد منها جعلت فيه بـــالطبع قـــوة يفعل بها فعله ، ابتغـــاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس ، وأعضاء أخر فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغـــراض هـــذه الـــتي ليس بينها وبين الرئيس واسطة ـ فهـذه في الرتبة الثانية ــ وأعضـاء أخر تفعل الأفعال على حسب غرض هؤلاء الذين في هذه المرتبة الثانية ، ثم هكـذا إلى أن تنتهي إلى أعضـاء تخـدم ولا ترؤس أصلا. وكذلك المدينة ، أجزاؤها مختلفة الفطرة ، متفاضلة الهيئات. وفيها انســان هو رئيس ، وأخر يقــرب مراتبها من الرئيس. وفي كل واحد منها هيئة وملكة يفعل بها فعلا يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس. وهؤلاء هم أولو المــراتب الأول. ودون هــؤلاء قــوم يفعلــون الأفعــال على حسب أغراض هؤلاء ، وهـؤلاء هم في الرتبة الثانيــة. ودون هــؤلاء أيضا من يفعل الأفعــال على حسب أغــراض هـؤلاء. ثم هكـذا تـترتب أجـزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى أخر يفعلون أفعالهم على حسب أغراضهم ، فيكون هـؤلاء هم الـــذين يخـــدمون ولا يخـــدمون ، ويكونـــون في أدنى المراتب ، ويكونون هم الأسفلين [1].

غير أن أعضاء البدن طبيعية ، والهيئات التي لها قـوى طبيعية

---

1) المدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح ، فتتركب مثله من أجزاء مختلفة الفطرة متفاضلة الهيئات فيها رئيس وطبقات متراتبة.

وأجـــزاء المدينة ، وان كـــانوا طبيعـــيين ، فـــإن الهيئـــات والملكات التي يفعلون بها أفعـالهم للمدينة ليست طبيعية ، بل اراديــة. على أن أجــزاء المدينة مفطــورون بــالطبع بفطر متفاضـلة يصـلح بها انسـان لانسـان ، لشــيء دون شـيء. غـير أنهم ليسـوا أجـزاء المدينة بـالفطر الـتي لهم وحـــدها ، بل بالملكـــات الارادية الـــتي تحصل لها ، وهي الصـناعات وما شـاكلها. والقـوى الـتي هي أعضـاء البـدن بالطبع ، فـان نظائرها في أجـزاء المدينة ملكـات وهيئـات ارادية [1].

1) الفرق بين البدن والمدينة أن أعضـاء البـدن طبيعية وأجـزاء المدينة وإن كانوا طبيعيين يعملون بالملكات الارادية أو الصناعات.

الباب السابع والعشرون

القول في العضو الرئيس

وكما أن العضو الـرئيس في البـدن هو بـالطبع أكمل أعضـــــائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه ، وله من كل ما يشـارك فيه عضو آخر أفضـله؛ ودونه أيضا أعضـاء أخـرى رئيسة لما دونها ، ورئاستها دون رئاسة الأول ، وهي تحت رئاسة الأول ترأس وترأس؛ كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجـــزاء المدينة فيما يخصّــه ، وله من كل ما شـــارك فيه غيره أفضله. ودونه قوم مرءوسون منه ويرؤسون آخـرين[1].

وكما أن القلب يتكوّن أولا ، ثم يكـون هو السـبب في أن يكون سائر أعضاء البـدن ، والسـبب في أن تحصل لها قواها وأن تـترتب مراتبها ، فـإذا اختـلّ منها عضو كـان هو المرفد بما يزيل عنه ذلك الاختلال ، كـــذلك رئيس هـــذه المدينة ينبغي أن يكون هو أولا ، ثم يكـون هو السـبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها ، والســـــــبب في أن تحصل الملكات الارادية

1) رئيس المدينة أكمل أجزائها كما أن القلب أكمل أعضاء البدن.

التي لأجزائها في أن تـترتب مراتبهـا؛ وإن اختل منها جـزء كان هو المرفد له بما يزيل عنه اختلاله [1].

وكما أن الأعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم من الأفعال الطبيعية التي هي على حسب غرض الـرئيس الأول بـالطبع بما هو أشـرف ، وما هو دونها من الأعضـاء يقـــوم بالأفعـــال بما هو دون ذلك في الشـــرف ، إلى أن ينتهي إلى الأعضـاء الـتي يقـوم بها من الأفعـال أخسـها؛ كذلك الأجزاء الـتي تقـرب في الرئاسة من رئيس المدينة تقـوم من الأفعـال الارادية بما هو أشـرف ومن دونهم بما هو دون ذلك في الشرف ، إلى أن ينتهي إلى الأجزاء التي تقوم من الأفعال بأخسها [2].

وخسة الأفعـال ربما كـانت بخسة موضـوعاتها ، فـإن كانت تلك الأفعال عظيمة الغنـاء ، مثل فعل المثانة وفعل الأمعاء السفلى في البدن؛ وربما كانت لقلّة غنائهـا؛ وربما كـانت لأجل أنها كـانت سـهلة جـدا؛ كـذلك (الحـال) في المدينـة. وكـذلك كل جملة كـانت أجزاؤها مؤتلفة منتظمة مرتبطة بـالطبع ، فـان لها رئيسا حاله من سـائر الأجـزاء هذه الحال.

وتلك أيضا حال الموجودات. فان السبب الأول نسبته إلى سـائر الموجـودات كنسـبة ملك المدينة الفاضـلة إلى سائر أجزائهـا. فـإن البريئة من المـادة تقـرب من الأول ، ودونها الأجسام السماوية ، ودون السماوية

---

1) رئيس المدينة يكــون أولا ثم يكــون ســبب تكــوين المدينة وتــرتيب مراتبها وازالة اختلالها كالقلب في البدن.

2) الطبقة التي تقرب من رئيس المدينة أشرف من الطبقة الــتي تليها وهذه الأخيرة أشرف من التي تقوم بأفعال أقل شرفا ... الخ.

الأجسام الهيولانية. وكل هـذه تحتـذي حـذو السـبب الأول وتؤمه وتقتفيـه؛ ويفعل ذلك كل موجـود بحسب قوتـه. الا أنها انما تقتفي الغـرض بمـراتب ، وذلك أن الأخس يقتفي غـرض ما هو فوقه قليلا ، وذلك يقتفي غـرض ما هو فوقه ، وأيضا كـذلك للثـالث غـرض ما هو فوقه ، إلى أن تنتهي إلى الـتي ليس بينها وبين الأول واسـطة أصـلا. فعلى هـذا الـترتيب تكـون الموجـودات كلها تقتفي غـرض السـبب الأول. فـالتي أعطيت كـلّ ما به وجودها من أول الأمر ، فقد احتـذى بها من أول أمرها حـذو الأول ومقصـده ، فعادت وصـارت في المـراتب العاليـة. وأما الـتي لم تعط من أول الأمر كل ما به وجودها ، فقد أعطيت قوة تتحرك بها نحو ذلك الـذي تتوقع نيله ، وتقتفي في ذلك ما هو غـرض الأول. وكـذلك ينبغي أن تكـون المدينة الفاضـلة : فـإن أجزاءها كلها ينبغي أن تحتـذي بأفعالها حـذو مقصد رئيسها الأول على الترتيب [1].

ورئيس المدينة الفاضـلة ليس يمكن أن يكـون أي انسان اتفق ، لأن الرئاسة انما تكون بشيئين : أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معـدا لها ، والثـاني بالهيئة والملكة الاراديـة. والرئاسة تحصل لمن فطر بـالطبع معـدا لهـا. فليس كل صـناعة يمكن أن يـرأس بها ، بل أكـثر الصـنائع صـنائع يخـدم بها في المدينة ، وأكـثر الفطر هي فطر الخدمة. وفي الصنائع صـنائع يـرأس بها ويخـدم بها صـنائع أخر ، وفيها صنائع يخدم بها فقط

1) ترتيب المدينة يشـبه تـرتيب العـالم ، ورئيسـها يشـبه الله وأجزاؤها يجب أن تحذو حذو مقصد رئيسها الأول على الترتيب.

ولا يرأس بها أصـلا. فكـذلك ليس يمكن أن تكـون صـناعة رئاسة المدينة الفاضلة أية صناعة ما اتفقت ، ولا أية ملكة ما اتفقت [1].

وكما أن الـــرئيس الأول في جنس لا يمكن أن يرأسه شـــيء من ذلك الجنس ، مثل رئيس الأعضـــاء ، فإنه هو الذي لا يمكن أن يكون عضو آخر رئيسا عليه؛ وكـذلك في كل رئيس في الجملـــة. كـــذلك الـــرئيس الأول للمدينة الفاضلة ينبغي أن تكون صناعته صناعة لا يمكن أن يخـدم بها أصلا ، ولا يمكن فيها أن ترأسها صناعة أخرى أصلا. بل تكون صـناعته صـناعة نحو غرضـها تـؤم الصـناعات كلها ، وايّـاه يقصد بجميع أفعـال المدينة الفاضـلة. ويكـون ذلك الانسان انسانا لا يكـون يرأسه انسـان أصـلا؛ وانما يكـون ذلك الانسـان انسـانا قد اسـتكمل ، فصـار عقلا ومعقـولا بالفعل. وقد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمـال على ذلك الوجه الذي قلنا ، وتكون هـذه القـوة منه معـدّة بـالطبع لتقبل ، إما في وقت اليقظة أو في وقت النــوم ، عن العقل الفعّال الجزئيات ، إما بأنفسها وإما بما يحاكيها ، ثم المعقولات بما يحاكيهـا. وأن يكـون عقله المنفعل قد استكمل بالمعقولات كلها ، حـتى لا يكـون ينفي عليه منها شيء ، وصار عقلا بالفعل [2].

فأي انسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها ، وصار عقلا بالفعل ومعقـولا بالفعل ، وصـار المعقـول منه هو الذي يعقل ، حصل له حينئذ عقل ما بالفعل رتبته فوق العقل المنفعل ، أتم وأشدّ مفارقة

---

1) رئاسة المدينة تقتضي ملكة فطرية وملكة ارادية.

2) رئيس المدينة انسان استكمل عقله ومخيلته.

للمـــادة ، ومقاربة من العقل الفعّـــال ، ويســـمّى العقل المســـتفاد ، ويصـــير متوســـطا بين العقل المنفعل وبين العقل الفعّـال ، ولا يكـون بينه وبين العقل الفعّـال شـيء آخــر. فيكــون العقل المنفعل كالمـادة والموضـوع للعقل المسـتفاد ، والعقل المسـتفاد كالمـادة والموضـوع للعقل الفعّـال. والقــوة الناطقة ، الـتي هي هيئة طبيعية ، تكــون مادة موضوعة للعقل الفعّال الذي هو بالفعل عقل [1].

وأول الرتبة الــتي بها الانســان انســان هو أن تحصل الهيئة الطبيعية القابلة المعـــدّة لأن يصـــير عقلا بالفعـــل. وهـذه هي المشـتركة للجميـع؛ فبينها وبين العقل الفعّـال رتبتـــان (همـــا) : أن يحصل العقل المنفعل بالفعل ، وأن يحصل العقل المستفاد. وبين هذا الانسـان الـذي بلغ هـذا المبلغ من أول رتبة الانسانية وبين العقل الفعّـال رتبتـان. واذا جعل العقل المنفعل الكامل والهيئة الطبيعية كشــيء واحد ، على مثال ما يكـون المؤتلف من المـادة والصـورة شيئا واحـدا ، وإذا أخذ هـذا الانسـان صـورة انسـانية ، هو العقل المنفعل الحاصل بالفعل ، كـــــان بينه وبين العقل الفعّال رتبة واحدة فقط. وإذا جعلت الهيئة الطبيعية مـادة العقل المنفعل [الذي صار عقلا بالفعل] ، والمنفعل مــادة المستفاد ، والمستفاد مادة العقل الفعّال ، وأخــذت جملة ذلك كشيء واحد ، كان هذا الانسان هو الانسان الذي حلّ فيه العقل الفعّال [2].

---

1) يســـتكمل عقل الانســـان عند ما يصـــبح عقلا مســـتفادا. والعقل المستفاد هو العقل بالفعل وقد حصل على جميع المعقولات.

2) مراتب العقل ثلاث هي :

العقل المستفاد ـ العقل بالفعل ـ العقل المنفعل أو الهيولاني.

وإذا حصل ذلك في كلا جـــــزئي قوته الناطقة ، وهما النظرية والعملية ، ثم في قوته المتخيلة ، كـــــان هــــــذا الانســان هو الــذي يــوحى إليــه. فيكــون اللّه ، عز وجل ، يــوحي إليه بتوسّــط العقل الفعّــال ، فيكــون ما يفيض من اللّه ، تبـــارك وتعـــالى ، إلى العقل الفعّـــال يفيضه العقل الفعّــال إلى عقله المنفعل بتوسّــط العقل المســتفاد ، ثم إلى قوته المتخيلـــــة. فيكـــــون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيما فيلســـوفا ومتعقلا على التمـــام [1] وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبيا منـــــذرا بما ســـــيكون ومخـــبرا بما هو الآن (عن) الجزئيــات ، بوجـــود يعقل فيه الإلهي. وهذا الانسان هو في أكمل مراتب الانســانية وفي أعلى درجات السعادة. وتكون نفسه كاملة متّحـدة بالعقل الفعّال على الوجه الذي قلنا. وهذا الانسان هو الـذي يقف على كل فعل يمكن أن يبلغ به السعادة. فهذا أول شرائط الرئيس. ثم أن يكون له مع ذلك قدرة بلسانه على جــودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه ، وقدرة على جـودة الارشـاد إلى السعادة ، وإلى الأعمال الـتي بها تبلغ السـعادة ، وأن يكـــون له مع ذلك جـــودة ثبـــات ببدنه لمباشـــرة أعمـــال الجزئيات [2].

---

1) إذا صـــــار العقل المنفعل عقلا بالفعل وصـــــار العقل بالفعل عقلا مســتفادا واتصل العقل المســتفاد بالعقل الفعّـال أصـبح هـذا الانسـان فيلسوفا.

2) وأما النبي فيتصل بالعقل الفعّال أيضا ولكن بواسطة المخيلة.

الباب الثامن والعشرون

القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة

خصال الرئيس الأول

فهذا هو الرئيس الذي لا يرأسه انسان آخر أصلا. وهو الامام ، وهو الـرئيس الأول للمدينة الفاضـلة ، وهو رئيس الأمة الفاضـــلة ، ورئيس المعمـــورة من الأرض كلهـــا. ولا يمكن أن تصـير هـذه الحـال الا لمن اجتمعت فيه بـالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها [1] :

ـ أحدها أن يكون تامّ الأعضاء ، قواها مؤاتية أعضاءها على الأعمال التي شأنها أن تكون بها؛ ومـتى هم بعضو ما من أعضائه عملا يكون به فأتى عليه بسهولة [2].

ـ ثم أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ، فيلقـاه بفهمه على ما يقصـده القائل ، وعلى حسب الأمر في نفسه [3].

1) خصال الرئيس الأول الفطرية اثنتا عشرة.
2) تمام الأعضاء.
3) جودة الفهم.

ـ ثم أن يكـون جيّد الحفظ لما يفهمه ولما يـراه ولما يسمعه ولما يدركه ، وفي الجملة لا يكاد ينساه [1].

ـ ثم أن يكــون جيّد الفطنة ، ذكيا ، إذا رأى الشــيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دلّ عليها الدليل [2].

ـ ثم أن يكون حسن العبارة ، يؤاتيه لســانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة [3].

ـ ثم أن يكـون محبا للتعليم والاسـتفادة ، منقـادا له ، سهل القبول ، لا يؤلمه تعب التعليم ، ولا يؤذيه الكدّ الـذي ينال منه [4].

ـ ثم أن يكـون غـير شـره على المـأكول والمشـروب والمنكوح ، متجنبا بالطبع للعب ، مبغضا للذات الكائنة عن هذه [5].

ـ ثم أن يكـون محبا للصـدق وأهله ، مبغضا للكـذب وأهله [6].

ـ ثم أن يكــون كبــير النفس ، محبا للكرامة : تكــبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور ، وتســمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها [7].

ـ ثم أن يكون الدرهم والـدينار وسـائر أعـراض الـدنيا هيّنة عنده [8].

---

1) جودة الحفظ.
2) الذكاء أو الفطنة.
3) البلاغة.
4) حب العلم.
5) العفة.
6) الصدق.
7) الإباء.
8) الكرم.

ـ ثم أن يكــون بــالطبع محبا للعــدل وأهله ، ومبغضا للجـــــــور والظلم وأهلهما ، يعطي النصف من أهله ومن غيره ويحثّ عليه ، ويؤتي من حل به الجـور مؤاتيا لكل ما يراه حسنا وجميلا ، ثم أن يكون عدلا غـير صـعب القيـاد ، ولا جموحا ولا لجوجا إذا دعي إلى العـــدل ، بل صـــعب القياد إذا دعي إلى الجور وإلى القبيح [1].

ـ ثم أن يكون قـويّ العزيمة على الشـيء الـذي يـرى أنه ينبغي أن يفعل ، جسورا عليه ، مقداما غير خائف ، ولا ضعيف النفس [2].

خصال الرئيس الثاني

ـ واجتماع هذه كلها في انسان واحد عسـر؛ فلـذلك لا يوجد من فطر على هــذه الفطــرة إلا الواحد بعد الواحد ، والأقل من الناس. فان وجد مثل هذا في المدينة الفاضـلة ثم حصــلت فيه ، بعد أن يكــبر ، تلك الشــرائط الســتّ المــــذكورة قبل أو الخمس منها دون الانــــداد من جهة المتخيّلة كـان هو الـرئيس. وان اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الأوقات ، أخذت الشرائع والسـنن الـتي شـرعها هذا الرئيس وأمثاله ، ان كانوا توالوا في المدينة ، فأثبتت. ويكون الرئيس الثاني الــذي يخلف الأول من اجتمعت فيه من مولده وصباه تلك الشـرائط ، ويكـون بعد كـبره ، فيه ست شرائط [3].

1) العدالة.
2) الشجاعة.
3) خصال الرئيس الثاني ست :

ـ أحدها أن يكون حكيما [1].

ـ والثـاني أن يكـون عالما حافظا للشـرائع والسـنن والسير الـتي دبرها الأولـون للمدينة ، محتـذيا بأفعاله كلها حذو تلك بتمامها [2].

ـ والثـالث أن يكـون له جـودة اسـتنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شـريعة ، ويكـون فيما يسـتنبطه من ذلك محتذيا حذو الأئمة الأولين [3].

ـ والرابع أن يكون له جـودة رويّة وقـوة اسـتنباط لما سـبيله أن يعـرف في وقت من الأوقـات الحاضـرة من الأمور والحوادث التي تحـدث مما ليس سـبيلها أن يسـير فيه الأوّلون ، ويكـون متحريا بما يسـتنبطه من ذلك صـلاح حال المدينة [4].

ـ والخـامس أن يكـون له جـودة ارشـاد بـالقول إلى شرائع الأولين ، وإلى التي استنبط بعدهم مما احتـذى فيه حذوهم [5].

ـ والسادس أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمـال الحـرب ، وذلك أن يكـون معه الصـناعة الحربية الخادمة والرئيسة [6].

ـ فـإذا لم يوجد انسـان واحد اجتمعت فيه هـذه الشـرائط ولكن وجد اثنـان ، أحـدهما حكيم ، والثـاني فيه الشرائط الباقية ، كانا هما

1) الحكمة.
2) حفظ الشرائع السابقة.
3) جودة استنباط شرائع جديدة محتذيا حذو أسلافه.
4) جودة روية في استنباط شرائع لا يحذو فيها حذو أسلافه.
5) جودة ارشاد الناس إلى شرائعه.
6) قدرة على الحرب.

رئيسين في هذه المدينة. فـإذا تفـرّقت هـذه في جماعة ، وكـانت الحكمة في واحد والثـاني في واحد والثـالث في واحد والرابع في واحد والخامس في واحد والسـادس في واحد ، وكـانوا متلائمين ، كـانوا هم الرؤسـاء الأفاضـل. فمتى اتفق في وقت ما أن لم تكن الحكمة جـزء الرئاسة وكـانت فيها سـائر الشـرائط ، بقيت المدينة الفاضـلة بلا ملك ، وكان الرئيس القائم بأمر هذه المدينة ليس بملـك. وكـانت المدينة تعـرض للهلاك. فـإن لم يتفق أن يوجد حكيم تضـاف الحكمة إليه ، لم تلبث المدينة بعد مـدة أن تهلك [1].

1) إذا لم تجتمع هـذه الخصـال الست في واحد وتفـرقت في اثـنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة كانوا هم الرؤساء الأفاضل.

الباب التاسع والعشرون

القول في مضادات المدينة الفاضلة

والمدينة الفاضـلة تضـادها المدينة الجاهلة ، والمدينة الفاسـقة ، والمدينة المتبدلة ، والمدينة الضـالة. ويضـادها أيضا من أفراد الناس نوائب المدن.

المدينة الجاهلة

والمدينة الجاهلة [1] هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطـرت ببـالهم. ان ارشـدوا إليها فلم يفهموها ولم يعتقدوها ، وإنما عرفوا من الخيرات بعض هـذه الـتي هي مظنونة في الظـاهر أنها خـيرات من الـتي تظنّ أنها هي الغايات في الحيـاة ، هي سـلامة الأبـدان واليسـار والتمتع باللـذات ، وأن يكـون مخلّى هـواه وأن يكـون مكرّما ومعظّمـا. فكل واحد من هـذه سـعادة عند أهل الجاهلـة. والسعادة العظمى الكاملة هي

1) المدينة الجاهلة هي التي لم تعرف السعادة.

اجتماع هذه كلها. وأضدادها هي الشقاء ، وهي آفات الأبدان والفقر وأن لا يتمتّع باللذات ، وأن لا يكون مخلّى هواه وأن لا يكون مكرّما.

وهي تنقسم إلى جماعة مدن ، منها [1] :

أ ـ المدينة الضرورية ، وهي التي قصد أهلها الاقتصار على الضروري مما به قوام الأبدان من المأكول والمشروب والملبوس والمسكون والمنكوح ، والتعاون على استفادتها.

ب ـ والمدينة البدّالة هي التي قصد أهلها أن يتعاونوا على بلوغ اليسار والثروة ، ولا ينتفعوا باليسار في شيء آخر ، لكن على أن اليسار هو الغاية في الحياة.

ج ـ ومدينة الخسّة والسقوط ، وهي التي قصد أهلها التمتّع باللذّة من المأكول والمشروب والمنكوح ، وبالجملة اللذة من المحسوس والتخيّل وايثار الهزل واللعب بكل وجه ومن كل نحو.

د ـ ومدينة الكرامة ، وهي التي قصد أهلها على أن يتعاونوا على أن يصيروا مكرمين ممدوحين مذكورين مشهورين بين الأمم ، ممجدين معظمين بالقول والفعل ، ذوي فخامة وبهاء ، إما عند غيرهم وإما بعضهم عند بعض ، كل انسان على مقدار محبته لذلك ، أو مقدار ما أمكنه بلوغه منه.

هـ ـ ومدينة التغلب ، وهي التي قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم ، الممتنعين أن يقهرهم غيرهم ، ويكون كدّهم اللذّة التي تنالهم من الغلبة فقط.

1) أنواع المدينة الجاهلة ستة هي الضرورية والبدالة والخسيسة والكرامية والتغالبية والجماعية.

و ـــ والمدينة الجماعية ، هي الـــتي قصد أهلها أن يكونــوا أحــرارا ، يعمل كل واحد منهم ما شـــاء ، لا يمنع هواه في شيء أصلا.

وملوك الجاهلة على عهد مـدنها ، أن يكـون كل واحد منهم انما يدبّر المدينة التي هو مسلّط عليها ليحصل هواه وميله. وهمم الجاهلة التي يمكن أن تجعل غايات هي تلك التي أحصيناها آنفا.

المدينة الفاسقة

ـ وأما المدينة الفاســقة ، وهي الـــتي آراؤها الآراء الفاضـــلة ، وهي الــــتي تعلم الســـعادة واللّه عز وجل والثواني والعقل الفعّال ، وكل شيء سبيله أن يعلمه أهل المدينة الفاضــلة ويعتقــدونها ، ولكن تكــون أفعــال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلة [1].

المدينة المبدلة

ـ والمدينة المبدّلة ، فهي الـتي كـانت آراؤها وأفعالها في القديم آراء المدينة الفاضلة وأفعالها ، غير أنها تبـدّلت فـدخلت فيها آراء غـير تلك ، واسـتحالت أفعالها إلى غـير تلك [2].

المدينة الضالة

ـ والمدينة الضــالة ، هي الـتي تظن بعد حياتها هــذه الســعادة ، ولكن غيّــرت هــذه ، وتعتقد في اللّه عز وجل وفي الثواني وفي العقل

1) المدينة الفاســقة آراؤها آراء أهل المدينة الفاضــلة وأفعالها أفعــال أهل المدينة الجاهلة.
2) المدينة المبدلة بدلت بعض آرائها وأفعالها الفاضلة.

الفعّـال آراء فاسـدة لا يصـلح عليها (حـتى) ولا ان أخـذت على أنها تمثيلات وتخيلات لها ، ويكون رئيسها الأول ممن أوهم أنه يوحى إليه من غير أن يكـون كـذلك ، ويكـون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور [1].

وملوك هذه المدن مضـادّة لملـوك المـدن الفاضـلة ، ورئاستهم مضادّة للرئاسات الفاضـلة ، وكـذلك سـائر من فيها. وملـوك المـدن الفاضـلة الـذين يتوالـون في الأزمنة المختلفة واحــدا بعد آخر فكلهم كنفس واحــدة ، وكــأنهم ملك واحد يبقى الزمان كلّه. وكذلك ان اتفق منهم جماعة في وقت واحد ، إما في مدينة واحـــدة ، وإما في مــــدن كثــيرة ، فــان جمــاعتهم كملك واحد ، ونفوســهم كنفس واحــدة ، وكـــذلك أهل كل رتبة منها ، مـــتى توالـــوا في الأزمان المختلفة ، فكلهم كنفس واحدة تبقى الزمان كله. وكذلك إن كان في وقت واحد جماعة من أهل رتبة واحدة ، وكانوا في مدينة واحـدة أو مـدن كثـيرة ، فـان نفوسـهم كنفس واحدة ، كانت تلك الرتبة رتبة رئاسة أو رتبة خدمة [2].

وأهل المدينة الفاضـلة لهم أشـياء مشـتركة يعلمونها ويفعلونها ، وأشـــــياء أخر من علم وعمل يخص كل رتبة وكل واحد منهم. انما يصـير (كل واحـد) في حـدّ السـعادة بهـذين ، أعـني بالمشـترك الـذي له ولغـيره معا ، وبالـذي يخصّ أهل المرتبة التي هو منهـا. فـإذا فعل ذلك كل واحد منهم ، أكسـبته أفعاله تلك هيئة نفسـانية جيـدة فاضــلة؛ وكلما

1) المدينة الضالة تعتقد اعتقادات فاسدة في الله والثواني والسعادة.
2) ملوك المدن الفاضلة متشابهون وكذلك نظمها ومراتبها.

دوام عليها أكـــثر ، صــــارت هيئته تلك أقـــوى وأفضل ، وتزايـدت قوّتها وفضـيلتها. كما أن المداومة على الأفعـال الجيّـدة من أفعـال الكتابة تكسب الانسـان جـودة صـناعة الكتابة ، وكلما داوم على تلك الأفعـــال أكـــثر صــــارت الصناعة التي بها تكون تلك الأفعال أقـوى وأفضل ، وتزيد قوتها وفضيلتها بتكرير أفعالها ، ويكون الالتذاذ التـابع لتلك الهيئة النفسانية أكثر ، واغتباط الانسان عليها نفسه أكثر ، ومحبّته لها أزيد. وتلك حال الأفعال التي ينال بها السـعادة : فانها كلما زيدت منها وتكـررت وواظب الانسـان عليها ، صيّرت النفس التي شأنها أن تسـعد أقـوى وأفضل وأكمل إلى أن تصير من حد الكمال إلى أن تستغني عن المادة ، فتحصل متبرئة منها ، فلا تتلف بتلف المادة ، ولا اذا بقيت احتاجت إلى مادة [1].

فإذا حصلت مفارقة للمادة ، غير متجســمة ، ارتفعت عنها الأعــراض الــتي تعــرض للأجســام من جهة ما هي أجســـام ، فلا يمكن فيها أن يقـــال إنها تتحـــرك ولا إنها تسكن. وينبغي حينئذ أن يقال عليها الأقاويل التي تليق بما ليس بجســم. وكلما وقع في نفس الانســان من شــيء يوصف به الجسم بما هو جسم ، فينبغي أن يســـلب عن الأنفس المفارقة. و (أن) يفهم حالها هذه وتصورها عسير غير معتاد. وكذلك يرتفع عنها كل ما كـان يلحقها ويعـرض لها بمقارنتها للأجســام. ولما كــانت هــذه الأنفس الــتي فارقت ، أنفسا كانت في هيوليات مختلفة ، وكان تبين أن الهيئات النفسانية تتبع مزاجات الأبدان ، بعضها أكثر

1) هناك أشـياء مشـتركة بين أهل المدينة الفاضـلة وأشـياء خاصة بكل رتبة فيها.

وبعضها أقل ، وتكون كل هيئة نفسانية على نحو ما يوجبه مزاج البدن الذي كانت فيه ، فهيئتها لـزم فيها ضـرورة أن تكون متغايرة لأجل التغير الذي فيها كان. ولما كـان تغـاير الأبـدان إلى غـير نهاية محـدودة ، كـانت تغـايرات الأنفس أيضا إلى غير نهاية محدودة [1].

1) بمداومة أهل المدينة الفاضلة على الأعمال الفاضلة تصفو نفوسـهم وتبلغ السعادة.

الباب الثلاثون

القول في اتصال النفوس بعضها ببعض

وإذا مضت طائفة فبطلت أبــدانها ، وخلصت أنفســها وسعدت؛ فخلفهم ناس آخرون في مرتبتهم بعدهم ، قاموا مقـامهم وفعلـوا أفعـالهم. فـإذا مضت هـذه أيضا وخلصت صــاروا أيضا في الســعادة إلى مــراتب أولئك الماضــين ، واتصل كل واحد بشـــبيهه في النـــوع والكمية والكيفيـــة. ولأنها كانت ليست بأجسام صــار اجتماعها ، ولو بلغ ما بلغ ، غــير مضـيّق بعضـها على بعض مكانها ، إذ كـانت ليست في أمكنة أصلا ، فتلاقيها واتصال بعضـها ببعض ليس على النحو الذي توجد عليه الأجسام [1].

وكلما كـــثرت الأنفس المتشـــابهة المفارقة ، واتصل بعضها ببعض ، وذلك على جهة اتصــال معقــول بمعقــول ، كان التذاذ كل واحد منها أزيد شــديدا. وكلما لحق بهم من بعدهم ، زاد التذاذ من لحق الآن

---

1) في المدينة الفاضــلة يقــوم الأبنــاء مقــام الآبــاء ويفعلــون أفعــالهم ويمضون قدما في سبيل السعادة.

بمصــادفة الماضــين ، وزادت لــذّات الماضــين باتصــال اللاحقين بهم ، لأن كل واحدة تعقل ذاتها وتعقل مثل ذاتها مــرارا كثــيرة ، فــتزداد كيفية ما يعقــل؛ ويكــون تزايد ما تلاقى هنك شــبيها بتزايد قــوة صــناعة الكتابة بمداومة الكاتب على أفعال الكتابة. ويقوم تلا حق بعض ببعض في تزايد كل واحد ، مقــام تــرادف أفعــال الكــاتب الــتي بها تتزايد كتابته قوة وفضيلة. ولأن المتلاحقين (هم) إلى غــير نهاية ، يكون تزايد قوى كل واحد ولذّاته على غابر الزمان إلى غير نهاية [1].

وتلك حال كل طائفة مضت.

1) إن نفوس الأجيال في المدينة الفاضـلة تتواصل وتتصـادف أو تتلاقى فتزداد سعادتها.

الباب الحادي والثلاثون

القول في الصناعات والسعادات

والسـعادات تتفاضل بثلاثة أنحـاء : بـالنوع ، والكمية ، والكيفية. وذلك شبيه بتفاضل الصنائع هاهنا.

فتفاضل الصنائع بالنوع هو أن تكون صـناعات مختلفة بـالنوع ، وتكـون إحـداها أفضل من الأخـرى ، مثل الحياكة وصــناعة الــبزّ وصــناعة العطر وصــناعة الكناسة ، ومثل صناعة الـرقص وصـناعة الفقه ، ومثل الحكمة والخطابـة. فبهذه الأنحاء تتفاضل الصنائع التي أنواعها مختلفة [1].

وأهل الصـنائع الـتي من نـوع واحد بالكمية أن يكـون كاتبان مثلا ، علم أحدهما من أجزاء صـناعة الكتابة أكـثر ، وآخر احتـوى من أجزائها على أشـياء أقل ، مثل أن هـذه الصـناعة تلـتئم باجتمـاع علم شـيء من اللغة وشـيء من الخطابة وشيء من جودة الخط وشيء من الحساب ،

---

1) الصنائع تتفاضل بالنوع.

فيكون بعضهم قد احتوى من هـذه على جـودة الخـطّ مثلا وعلى شـيء من الخطابـة؛ وآخر احتـوى على اللغة وعلى شيء من الخطابة وعلى جـودة الخـط؛ وآخر على الأربعة كلها [1].

والتفاضل في الكيفية هو أن يكــون اثنــان احتويا من أجزاء الكتابة على أشـياء بأعيانها ، ويكـون أحـدهما أقـوى فيما احتــوى عليه وأكــثر درايــة. فهــذا هو التفاضل في الكيفية [2].

والسعادات تتفاضل بهذه الأنحاء أيضا.

وأما أهل سائر المدن ، فان أفعالهم ، لما كانت رديئة ، أكسـبتهم هيئـات نفسـانية رديئة ، كما أن أفعـال الكتابة متى كانت رديئة على غير ما شـأن الكتابة أن تكـون عليها ، تكسب الانسان كتابة أسـوأ رديئة ناقصـة. وكلما ازدادت من تلك الأفعـال ازدادت صـناعته نقصـا. وكـذلك الأفعـال الرديئة من أفعـال سـائر المـدن تكسب أنفسـهم هيئـات رديئة ناقصة ، وكلما واظب واحد منهم على تلك الأفعــال ازدادت هيئته النفسـانية نقصا ، فتصـير أنفسـهم مرضـى. فلذلك ربما التذّوا بالهيئات التي يستفيدونها بتلك الأفعال ، كما أن مرضى الأبــدان ، مثل كثــير من المحمــومين ، لفساد مـزاجهم ، يسـتلذّون الأشـياء الـتي ليس شـأنها أن يلتـذّ بها من الطعـوم ، ويتـأذّون بالأشـياء الـتي شـأنها أن تكون لذيذة ، ولا يحسون بطعوم الأشياء الحلوة الـتي من شـأنها أن تكـون لذيـذة. كـذلك مرضى الأنفس ، بفسـاد تخيّلهم الذي اكتسبوه بالارادة والعادة ،

1) الصنائع تتفاضل بالكمية.
2) الصنائع تتفاضل بالكيفية.

يســتلذون الهيئــات الرديئة والأفعــال الرديئة ، ويتــأذون بالأشياء الجميلة الفاضلة أو لا يتخيّلونها أصلا. وكما أن في المرضى من لا يشــعر بعلّته ، وفيهم من يظن مع ذلك أنه صحيح ، ويقوى ظنّه بذلك حتى لا يصغي إلى قـول طـبيب أصلا؛ كذلك من كـان من مرضى الأنفس لا يشـعر بمرضه ويظنّ مع ذلك أنه فاضل صــحيح النفس ، فانه لا يصــغي أصلا إلى قول مرشد ولا معلّم ولا مقوّم [1].

1) المواظبة على الأعمال الرديئة تجعل نفوس أصــحابها رديئة وناقصة وفاسدة.

الباب الثاني والثلاثون

القول في أهل هذه المدن

اما أهل المــدن الجاهلة ، فــان أنفســهم تبقى غــير مسـتكملة ، ومحتاجة في قيامها إلى المـادة ضـرورة ، إذ لم يرتسم فيها رسم حقيقة بشـيء من المعقـولات الأول أصـلا. فـإذا بطلت المـادة الـتي بها كـان قوامها ، بطلت القوى التي كان شأنها أن يكون بها قوام ما بطل ، وبقيت القوى التي شـأنها أن يكـون بها قـوام ما بقي. فـان بطل هذا أيضا وانحلّ إلى شيء آخر ، صار الذي بقي صـورة ما لذلك الشيء الذي اليه انحلت المادة الباقيــة. فكلما يتّفق بعد ذلك أن ينحلّ ذاك أيضا إلى شـيء ، صـار الـذي يبقى صورة ما لذلك الشيء الذي إليه انحلّ ، إلى أن ينحلّ إلى الاسطقسات ، فيصير الباقي الأخير صورة الاسطقسـات [1].

ثم من بعد ذلك يكــــــون الأمر فيه على ما يتّفق أن يتكوّن عن تلك

---

1) نفوس أهل المدن الجاهلة تنحل وتتخذ صورة الاسطقسات الأربع.

الأجزاء من الاسطقسات التي إليها انحلت هذه. فان اتفق أن تختلط تلك الأجـزاء اختلاطا يكـون عنه انسـان ، عـاد فصار هيئة في انسان؛ وان اتفق أن تختلط اختلاطا يكـون عنه نـوع آخر من الحيـوان أو غـير الحيـوان ، عـاد صـورة لذلك الشيء. وهؤلاء هم الهالكون والصـائرون إلى العـدم ، على مثال ما يكون عليه البهائم والسباع والأفاعي [1].

وأما أهل المدينة الفاسـقة ، فـان الهيئـات النفسـانية التي اكتسـبوها من الآراء الفاضـلة ، فهي تخلص أنفسـهم من المادة ، والهيئات النفسانية الرديئة التي اكتسبوها من الأفعـال الرذيلة ، فتقـترن إلى الهيئـات الأولى ، فتكـدر الأولى وتضادها؛ فيلحق النفس من مضاده هـذه لتلك أذى عظيم ، وتضـاد تلك الهيئـات هـذه ، فيلحق هـذه من تلك أيضا أذى عظيم. فيجتمع من هـــذين أذيـــان عظيمـــان للنفس. وان هـذه الهيئـات المسـتفادة من أفعـال الجاهلة هي بالحقيقة يتبعها أذى عظيم في الجــــزء النـــاطق من النفس. وانما صـار الجـزء النـاطق لا يشـعر بـأذى هـذه لتشاغله بما تورد عليه الحواسّ. فإذا انفـرد دون الحـواس ، شــعر بما يتبع هــذه الهيئــات من الأذى ، ويخلصــها من المادة ، ويفرّدها عن الحواس وعن جميع الأشياء الــواردة عليها من خارج [2].

كما أن الانسان المغتم ، مـتى أورد الحـواس عليه ما يشغله ، لم يتـأذ بما يغمه ولم يشـعر به ، حـتى إذا انفـرد دون الحواس ، عاد الأذى

1) أهل المــدن الجاهلة يهلكــون ويصــيرون إلى العــدم مثل البهــائم والأفاعي.

2) نفــوس أهل المــدن الفاســقة تتــألم من الأفعــال الرديئة ، ولكنها تتخلص من المادة بفضل الآراء الفاضلة التي اكتسبتها.

عليه؛ وكذلك المريض الذي يتألم متى تشاغل بأشياء ، إما أن يقل أذاه بألم المرض ، وإما أن لم يشعر بـالأذى. فـإذا انفرد دون الأشياء التي تشغله ، يشعر بـالأذى أو عـاد إليه الأذى؛ كـذلك الجـزء النـاطق ، ما دام متشـاغلا بما تـورده الحواسّ عليه ، لم يشـعر بـأذى ما يقـترن به من الهيئـات الرديئة ، حـتى اذا انفـرد انفـرادا تاما دون الحـواس شـعر بالأذى ، وظهر له أذى هذه الهيئات ، فبقي الـدهر كله في أذى عظيم. فـان ألحق به من هو في مرتبته من أهل تلك المدينة ، ازداد أذى كل واحد منهم بصـــــــــــاحبه؛ لأن المتلاحقين بلا نهاية تكون زيادات أذاهم في غـابر الزمـان بلا نهاية. فهذا هو الشقاء المضادّ للسعادة [1].

وأما أهل المدن الضالة ، فإن الذي أضلّهم وعدل بهم عن السـعادة لأجل شـيء من أغـراض أهل الجاهلة وقد عرف السعادة ، فهو من أهل المـدن الفاسـقة؛ فـذلك هو وحده دون أهل المدينة شـقي. فأما أهل المدينة أنفسـهم فانهم يهلكون وينحلون ، على مثال ما يصير إليه حال أهل الجاهلة [2].

وأما أهل المدن المبدّلة ، فان الذي بـدّل عليهم الأمر وعـدل بهم ، إن كـان من أهل المـدن الفاسـقة شـقي هو وحده ، فأما الآخرون فانهم

---

1) نفـوس أهل المـدن الفاسـقة تبقى ولا تفـنى ولكنها تعيش متألمة معذبة وهذا هو الشقاء.

2) مصـير أهل المـدن الضـالة الهلاك والانحلال مثل أهل الجاهلة ، أما رئيسهم الذي أضلهم فمصيره الشقاء كأهل الفاسقة.

يهلكون وينحلـون أيضا مثل أهل الجاهلـة. وكـذلك كل من عدل عن السعادة بسهو وغلط [1].

وأما المضـــطرون والمقهـــورون ، من أهل المدينة الفاضلة ، على أفعـال الجاهلية ، فـإن المقهـور على فعل شـــيء ، لما كـــان يتـــأذّى بما يفعله من ذلك ، صـــارت مواظبته على ما قسر عليه لا تكسبه هيئة نفسانية مضادة للهيئـات الفاضـلة ، فتكـدر عليه تلك الحـال حـتى تصـير منزلته منزلة أهل المـــدن الفاســـقة ، فلـــذلك لا تضـــرّه الأفعـال الـتي أكـره عليها ، وانما ينـال الفاضل ذلك مـتى كـان المتســلط عليه أحد أهل المـــدن المضـــادة للمدينة الفاضلة ، واضطر إلى أن يسكن في مساكن المضـادّين [2].

1) مصير أهل المبدلة الهلاك ومصير قادتهم الشقاء.
2) لا ضير على من أكره من أهل المدينة الفاضلة على فعل رديء.

الباب الثالث والثلاثون

القول في الأشياء المشتركة لأهل المدينة الفاضلة

فأما الأشـياء المشـتركة الـتي ينبغي أن يعلمها جميع أهل المدينة الفاضـلة فهي أشـياء ، أولها معرفة السـبب الأول وجميع ما يوصف به ، ثم الأشـياء المفارقة للمـادة وما يوصف به كل واحد منها بما يخصّـه من الصـفات والمرتبة إلى أن تنتهي من المفارقة إلى العقل الفعّـال ، وفعل كل واحد منها؛ ثم الجواهر السـماوية وما يوصف به كل واحد منهـا؛ ثم الأجسـام الطبيعية الـتي تحتها ، كيف تتكـون وتفسد ، وأن ما يجـري فيها يجـري على إحكـام واتقان وعناية وعدل وحكمة ، وأنه لا اهمال فيها ولا نقص ولا جـور ولا بوجه من الوجـوه؛ ثم كـون الانسـان ، وكيف تحـدث قـوى النفس ، وكيف يفيض عليها العقل الفعّـال الضوء حتى تحصل المعقـولات الأول ، والارادة والاختيـار؛ ثم الرئيس الأول وكيف يكون الـوحي؛ ثم الرؤسـاء الـذين ينبغي أن يخلفوه إذا لم يكن هو في وقت من الأوقات؛ ثم المدينة الفاضلة وأهلها والسعادة التي تصير إليها

أنفسهم ، والمدن المضادة لها وما تؤول إليه أنفسـهم بعد الموت : اما بعضهم إلى الشقاء واما بعضهم إلى العـدم ، ثم الأمم الفاضلة والأمم المضادة لها [1].

وهذه الأشياء تعـرف بأحد وجهين : إما أن ترتسم في نفوسهم كما هي موجودة ، وإما أن ترتسم فيها بالمناسبة والتمثيل ، وذلك أن يحصل في نفوسـهم مثالاتها الـتي تحاكيها. فحكماء المدينة الفاضلة هم الذين يعرفـون هـذه ببراهين وببصائر أنفسهم. ومن يلي الحكماء يعرفون هـذه على ما هي عليه موجـودة ببصـائر الحكمـاء اتباعا لهم وتصديقا لهم وثقة بهم. والباقون منهم يعرفونها بالمثـالات الـتي تحاكيها ، لأنهم لا هيئة في أذهـانهم لتفهمها على ما هي موجودة إما بالطبع وإما بالعادة وكلتاهما معرفتان. الا أن الـتي للحكيم أفضل لا محالـة؛ والـذين يعرفونها بالمثـالات الـتي تحاكيها ، بعضـهم يعرفونها بمثـالات قريبة منها ، وبعضهم بمثالات أبعد قليلا ، وبعضـهم بمثـالات أبعد من تلك ، وبعضـهم بمثـالات بعيـدة جـدا. وتحـاكى هـذه الأشياء لكل أمة ولأهل كل مدينة بالمثـالات الـتي عنـدهم الأعرف فالأعرف ، وربما اختلف عند الأمم اما أكثره واما بعضه ، فتحاكي هذه لكل أمة بغير الأمور التي تحـاكي بها الأمة الأخـرى. فلـذلك يمكن أن يكـون أمم فاضـلة ومـدن فاضلة تختلف

---

1) المعارف التي ينبغي أن يحصلها أهل المدينة الفاضـلة ليسـعدوا هي فلسفة الفارابي التي تضمنها هذا الكتاب ابتداء من معرفة الله وصفاته وانتهـاء بـالأمم الفاضـلة والأمم المضـادة لها ، مـرورا بـالثواني والعقل الفعّال وكون الأجسام الطبيعية وفسادها وكون الانسان وقـواه ورئيس المدينة الفاضلة وأهلها والمدن المضادة ومصير نفوسهم بعد الموت.

ملتهم ، فهم كلهم يؤمّــون ســعادة واحــدة بعينها ومقاصد واحدة بأعيانها [1].

وهذه الأشياء المشتركة ، إذا كانت معلومة ببراهينها ، لم يمكن أن يكــون فيها موضع عنــاد بقــول أصلا ، لا على جهة المغالطة ولا عند من يســوء فهمه لهــا. فحينئذ يكــون للمعاند ، لا (حقيقـــة) الأمر في نفسه ، ولكن ما فهمه هو من الباطل في الأمر. فاما إذا كانت معلومة بمثالاتها التي تحاكيها ، فـــان مثالاتها قد تكـــون فيها مواضع للعنـــاد ، وبعضها يكون فيه مواضع العناد أقل ، وبعضـها يكـون فيها مواضع العناد أكثر ، وبعضها يكون فيه مواضع العناد أظهر ، وبعضها يكون فيه أخفى [2].

ولا يمتنع أن يكــون في الــذين عرفــوا تلك الأشــياء بالمثالات المحاكية ، من يقف على مواضع العنـاد في تلك المثــالات ويتوقف عنــده ، وهــؤلاء أصــناف [3] : صــنف مسترشدون ، فما تزيّف عند أحد من هؤلاء شــيء ما رفع إلى مثال آخر أقرب إلى الحق ، لا يكون فيه ذلك العنـاد ، فــان قنع به تــرك ، وان تزيّف عنـــده ذلك أيضا رفع إلى مرتبة أخرى ، فـان قنع به تـرك. وكلما تزيّف عنـده مثـال في مرتبة ما رفع فوقها ، فان تزيّفت عنده المثــالات كلّها وكانت فيه نية للوقوف على الحق عرف

1) يعرف أهل المدينة الفاضلة هذه المعلومات بطريقتين رئيستين هما البرهان والمحاكاة. وطريقة الحكماء البرهانية أفضل من طريقة العامة التمثيلية.
2) لا عناد في البرهان أما التمثيل فعرضة للمعاندة.
3) أصناف المعاندين.

الحق ، وجعل في مرتبة المقلّدين للحكمـاء؛ فـان لم يقنع بذلك وتشوّق إلى الحكمة ، وكان في نيته ذلك ، علمها [1].

وصــنف آخــرون بهم أغــراض ما جاهلة ، من كرامة ويسار أو لذّة في المال وغير ذلك ، ويـرى شـرائع المدينة الفاضـــلة تمنع منها ، فيعمد إلى آراء المدينة الفاضـــلة فيقصد تزييفها كلها ، سواء كـانت مثـالات للحق ، أو كـان الــذي يلقى إليه منها الحق نفســه. أما المثــالات فتزييفها بــوجهين : أحــدهما بما فيه من مواضع العنــاد ، والثــاني بمغالطة وتمويـه. واما الحق نفسه فبمغالطة وتمويـه؛ كل ذلك لئلا يكون شيء يمنع غرضه الجاهلي والقبيح. وهـؤلاء ليس ينبغي أن يجعلوا أجزاء المدينة الفاضلة [2].

وصنف آخر تتزيّف عنـدهم المثـالات كلها لما فيها من مواضع العنـاد ، ولأنهم مع ذلك سـيئو الإفهـام ، يغلطـون أيضا عن مواضع الحق من المثالات ، فيتزيّف منها عندهم ما ليس فيها موضع للعنــاد أصــلا. فــإذا رفعــوا إلى طبقة الحق حـتى يعرفوها ، أضـلّهم سـوء افهـامهم عنه ، حـتى يتخيلوا الحق على غـير ما هو به ، فيظنّـون أيضا أن الـذي تصـوروه هو الــذي ادّعى الحق أنه هو الحــق؛ فـإذا تزيّف ذلك عندهم ، ظنوا أن الـذي تزيّف هو الحق الـذي يـدعى أنه الحق لا الـــذي فهمـــوه هم؛ فيقع لهم لأجل ذلك أنه لا حق أصلا ، وأن الذي يظنّ به أنه أرشد إلى الحق

1) المسترشد المقلد للحكماء.
2) القاصد إلى تزييف الحقيقة من أهل المدن الجاهلة.

مغرور. وأن الذي يقـال فيه إنه مرشد إلى الحق ، مخـادع مموّه ، طالب ، بما يقول من ذلك ، رئاسة أو غيرها [1].

وقـــوم من هـــؤلاء يخـــرجهم ذلك إلى أن يتحيّـــروا؛ وآخرون من هؤلاء يلوح لهم مثل ما يلوح الشيء من بعيد ، أو مثل ما يتخيله الانسـان في النـوم أن الحق موجــود ويبـاين من ادراكه لأسـباب يـرى أنها لا تتـأتّى له ، فيقصد إلى تزييف ما أدركه ، ولا يحســـبه حينئذ حقا ، ثم يعلم أو يظن أنه أدرك الحق [2].

---

1) السيّئ الفهم الذي لا يستطيع ادراك الحق أصلا.
2) الشاك الذي يقول إنه لا سبيل إلى ادراك الحق.

الباب الرابع والثلاثون

القول في آراء أهل المدن الجاهلة والضالة

والمدن الجاهلة والضالة انما تحدث متى كـانت الملّة مبنيّة على بعض الآراء القديمة الفاسدة.

منها ، أن قوما قـالوا : إنّا نـرى الموجـودات الـتي نشاهدها متضـادّة ، وكل واحد منها يلتمس إبطـال الآخـر؛ ونـــرى كل واحد منها ، إذا حصل موجـــودا ، أعطي مع وجوده شيئا يحفظ به وجوده من البطلان ، وشيئا يدفع به عن ذاته فعل ضـدّه ، ويجـوّز به ذاته عن ضـدّه؛ وشـيئا يبطل به ضـدّه ويفعل منه جسـما شـبيها به في النـوع؛ وشـيئا يقتـدر به على أن يسـتخدم سـائر الأشـياء فيما هو نافع في أفضل وجوده وفي دوام وجوده [1].

وفي كثير منها جعل له ما يقهر به كل ما يمتنع عليه ، وجعل كل ضدّ من كل ضدّ ومن كل ما سواه بهذه الحـال ، حتى تخيّل لنا أن كل

______

1) لا اجتماع ، لأن الموجودات متضادة.

واحد منها هو الــذي قصد ، أو أن يجــاز له وحـــده أفضل الوجود دون غـيره. فلـذلك جعل له كل ما يبطل به كل ما كان ضـارا له وغـير نـافع له ، وجعل له ما يسـتخدم به ما ينفعه في وجوده الأفضل. فإنا نرى كثيرا من الحيوان يثب على كثــير من باقيها ، فيلتمس إفســادها ، وإبطالها ، من غـــير أن ينتفع بشـــيء من ذلك نفعا يظهر ، كأنه قد طبع على أن لا يكون موجود في العالم غيره ، أو أن وجود كل ما سواه ضـارّ له ، على أن يجعل وجـود غـيره ضـارّا له ، وان لم يكن منه شيء آخر على أنه موجـود فقـط. ثم إن كل واحد منهما ، إن لم يـــرم ذلك ، التمس أن يســـتعبد غيره فيما ينفعه ، وجعل كل نوع من كل نوع بهـذه الحـال ، وفي كثــير منها جعل كل شــخص من كل شــخص في نوعه بهذه الحـال. ثم خليت هـذه الموجـودات أن تتغـالب وتتهارج. فالأقهر منها لما سواه يكون أتمّ وجودا. والغـالب أبــدا إما أن يبطل بعضه بعضا ، لأنه في طباعه أن وجــود ذلك الشـــيء نقص ومضـــرّة في وجـــوده هو ، وإما أن يسـتخدم بعضا ويسـتعبده ، لأنه يـرى في ذلك الشـيء أن وجوده لأجله هو [1].

ويرى أشـياء تجـري على غـير نظـام ، ويـرى مـراتب الموجـودات غـير محفوظة ، ويـرى أمـورا تلحق كل واحد على غـــير اســتئهال منه لما يلحقه من وجــوده لا وجــود (لنفســها). قــالوا : وهــذا وشــبهه هو الــذي يظهر في الموجودات التي نشاهدها ونعرفها. فقال قوم بعد ذلك إن هـذه الحـال طبيعة الموجـودات ، وهـذه فطرتها ، والـتي تفعلها الأجسام

1) الموجودات تتغالب على الوجود وينتصر الأتم وجودا.

الطبيعية بطبائعها هي الـــتي ينبغي أن تفعلها الحيوانـــات المختـارة باختياراتها واراداتها ، والمرويّة برويتهـا. ولـذلك رأوا أن المدن ينبغي أن تكون متغالبة متهارجة ، لا مراتب فيها ولا نظـــام ، ولا اســـتئهال يختص به أحد لكرامة أو لشيء آخر؛ وأن يكون كل انسان متوحّدا بكل خــير هو له ان يلتمس ان يغالب غيره في كل خير هو لغـيره [1]، وان الانسان الأقهر لكل ما يناويه هو الأسعد [2].

ثم تحــدث من هــذه آراء كثـيرة في المــدن من آراء الجاهلية : فقـــوم رأوا ذلك أنه لا تحـــاب ولا ارتبـــاط ، لا بـالطبع ولا بـالارادة ، وأنه ينبغي أن يبغض كل انسـان كل انسان ، وأن ينافر كلّ واحد كلّ واحد ، ولا يرتبط اثنان إلا عند الضرورة ، ولا يأتلفان إلا عند الحاجة ، ثم يكون (بعد) اجتماعهما على ما يجتمعان عليه بأن يكون أحدهما القاهر والآخر مقهـورا ، وان اضـطرّا لأجل شـيء وارد من خـارج أن يجتمعا ويأتلفا ، فينبغي أن يكـــون ذلك ريث الحاجة ، وما دام الـوارد من خـارج يضـطرّهما إلى ذلـك؛ فـإذا زال فينبغي أن يتنافرا ويفترقا. وهذا هو الداء السبعيّ من آراء الانسانية [3].

وآخرون ، لما رأوا أن المتوحد لا يمكنه أن يقـوم بكل ما به إليه حاجة دون أن يكـون له مـوازرون ومعـاونون ، يقوم له كل واحد بشيء مما يحتاج إليه ، رأوا الاجتماع.

1) لا نظام ولا مراتب في الموجودات.
2) الأقوى هو الأسعد.
3) لا ارتبـاط ولا تحـاب بين البشر لا بـالطبع ولا بـالإرادة وإن شـريعة الغاب هي السائدة بين الناس.

فقوم رأوا أن ذلك ينبغي أن يكون بالقهر ، بأن يكــون الذي يحتاج إلى موازين يقهر قوما ، فيستعبدهم ، ثم يقهر بهم آخــرين فيســتعبدهم أيضــا. وأنه لا ينبغي أن يكــون موازره مساويا له ، بل مقهورا؛ مثل أن يكون أقواهم بدنا وسـلاحا يقهر واحـدا ، حـتى صـار ذلك مقهـورا له قهر به واحدا آخر أو نفرا ، ثم يقهر بأولئك آخرين ، حتى يجمع له مــوازرين على الــترتيب. فـإذا اجتمعـوا له صـيّرهم آلات يستعملهم فيما فيه هواه [1].

وآخــرون رأوا هاهنا ارتباطا وتحابا وائتلافا ، واختلفــوا في التي بها يكون الارتباط : فقـوم رأوا أن الاشـتراك في الولادة من والد واحد هو الارتباط به ، وبه يكون الاجتمــاع والائتلاف والتحابّ والتوازر على أن يغلبوا غــيرهم ، وعلى الامتناع من أن يغلبهم غيرهم. فان التباين والتنـافر بتبـاين الآبــاء ، والاشــتراك في الوالد الأخصّ والأقــرب يــوجب ارتباطا أشـدّ ، وفيما هو أعمّ يـوجب ارتباطا أضـعف؛ إلى أن يبلغ من العمـوم والبعد إلى حيث ينقطع الارتبـاط أصلا ويكون تنـافرا؛ إلا عند الضـرورة الـواردة من خـارج ، مثل شــرّ يـدهمهم ، ولا يقومـون بدفعه إلا باجتمــاع جماعـات كثيرة. وقوم رأوا أن الارتباط هو بالاشتراك في التناسل ، وذلك بأن ينسل ذكورة أولاد هـذه الطائفة من انـاث أولاد أولئك ، وذكـورة أولاد أولئك من انـاث أولاد هـؤلاء ، وذلك التصاهر. وقوم رأوا أن الارتباط هو باشتراك في الــرئيس الأول الذي جمعهم أولا ودبّرهم حتى غلبوا به ، ونالوا خيرا ما من خيرات الجاهلية [2].

---

1) الاجتماع يقوم على القهر.
2) الاجتماع يقوم على القرابة.

وقوم رأوا أن الارتباط هو بالايمان والتحـالف والتعاهد على ما يعطيه كل انسان من نفسه ، ولا ينافر الباقين ولا يخاذلهم ، وتكون أيديهم واحدة في أن يغلبوا غيرهم ، وأن يدفعوا عن أنفسهم غلبة غيرهم لهم [1].

وآخـرون رأوا أن الارتبـاط هو بتشـابه الخلق والشـيم الطبيعية ، والاشـــتراك في اللغة واللســـان؛ وأن التبـــاين يباين هذه. وهذا هو لكل أمّة. فينبغي أن يكونوا فيما بينهم متحـابين ومنـافرين لمن سـواهم؛ فـإن الأمم إنما تتبـاين بهذه الثلاث [2].

وآخرون رأوا أن الارتباط هو بالاشتراك في المــنزل ، ثم الاشـتراك في المسـاكن ، وان أخصّـهم هو بالاشـتراك في المنزل ، ثم الاشتراك في السـكة ، ثم الاشـتراك في المحلّة. فلذلك يتواسون بالجار ، فإن الجـار هو المشـارك في السـكة وفي المحلــة؛ ثم الاشــتراك في المدينة ، ثم الاشتراك في الصقع الذي فيه المدينة [3].

وهاهنا أيضا أشياء يظن أنه ينبغي أن يكون لها ارتباط جزئي بين جماعة يسيرة وبين نفر وبين اثنين ، منها طول التلاقي ، ومنها الاشـــتراك في طعـــام يؤكل ، وشـــراب يشـرب ، ومنها الاشـتراك في الصـنائع ، ومنها الاشـتراك في شـرّ يـدهمهم ، وخاصة مـتى كـان نـوع الشـرّ واحـدا وتلاقوا ، فإن بعضهم يكـون سـلوة بعض. ومنها الاشـتراك في لـذّة ما ، ومنها الاشـتراك في الأمكنة الـتي لا يـؤمن فيها أن يحتـــاج كل واحد إلى الآخر ، مثل الـــترافق في السفر

1) الاجتماع يقوم على التعاهد.
2) الاجتماع يقوم على تشابه الخلق والشيم واللغة.
3) الاجتماع يقوم على الاشتراك في الوطن.

الباب الخامس والثلاثون

القول في العدل

[أو في علاقات المدن والأمم]

قـالوا : فـإذا تميّـزت الطوائف بعضـها عن بعض بأحد هذه الارتباطات ، إما قبيلة عن قبيلة ، أو مدينة عن مدينة ، أو أحلاف عن أحلاف ، أو أمة عن أمة ، كـــانوا مثل تميّز كل واحد عن كل واحـــد؛ فإنه لا فـــرق بين أن يتميّز كل واحد عن كل واحد أو يتميّز طائفة عن طائفة؛ فينبغي بعد ذلك أن يتغـالبوا ويتهـارجوا. والأشـياء الـتي يكـون عليها التغالب هي السـلامة والكرامة واليسـار واللـذّات وكل ما يوصل به إلى هذه. وينبغي أن يروم كل طائفة أن تسـلب جميع ما للأخـرى من ذلك ، وتجعل ذلك لنفسـها ، ويكـون كل واحد من كل واحد بهذه الحال. فالقاهرة منها للأخرى على هـذه هي الفـائزة ، وهي المغبوطة ، وهي السـعيدة. وهـــذه الأشـــياء هي الـــتي في الطبع ، إما في طبع كل انسان أو في طبع كل طائفة ، وهي تابعة لما عليه طبــائع الموجـودات الطبيعيـة. فما في الطبع هو العـدل. فالعـدل إذا التغالب. والعدل هو

أن يقهر ما اتفق منها. والمقهـور إما أن يقهر على سـلامة بدنه ، أو هلك وتلف ، وانفرد القاهر بـالوجود؛ أو قهر على كرامته وبقي ذليلا ومسـتعبدا ، تسـتعبده الطائفة القـاهرة ويفعل ما هو الأنفع للقــاهر في أن ينــال به الخــير الــذي عليه غالب ويستديم به. فاستعباد القاهر للمقهور هو أيضا من العــدل. وأن يفعل المقهــور ما هو الأنفع للقــاهر هو أيضا عدل. فهذه كلها هو العدل الطبيعي ، وهي الفضـيلة. وهذه الأفعال هي الأفعال الفاضلة فـإذا حصـلت الخـيرات للطائفة القاهرة فينبغي أن يعطى من هو أعظم غنـاء في الغلبة على تلك الخـيرات من تلك الخـيرات أكـثر ، والأقل غناء فيها أقلّ. وان كانت الخيرات التي غلبـوا عليها كرامة ، أعطي الأعظم غناء فيه كرامة أكـبر ، وان كـانت أمـوالا أعطي أكـثر. وكـذلك في سـائرها. فهـذا هو أيضا عــدل عندهم طبيعي [1].

قالوا : وأما سائر ما يسـمّى عـدلا ، مثل ما في الـبيع والشراء ، ومثل ردّ الودائع ، ومثل أن لا يغضب ولا يجور ، وأشــباه ذلك ، فــان مســتعمله انما يســتعمله أولا لأجل الخوف والضعف وعند الضرورة الواردة من خارج.

وذلك أن يكـــون كل واحد منهما كأنهما نفســــان أو طائفتــان مســاوية (إحــداهما) في قوتها للأخــرى ، وكانا يتــداولان القهــر. فيطــول ذلك بينهمــا؛ فيــذوق كل واحد الأمــرين ، ويصـير إلى حـال لا يحتملها ، فحينئذ يجتمعـان ويتناصفان ، ويترك كل واحد منهما للآخر مما كانا يتغالبان عليه قسطا مـا؛ فتبقى سـماته ، ويشـرط كل واحد منهما على

1) علاقات الأمم تقوم على التغالب والقهر.

صـــاحبه أن لا يـــروم نـــزع ما في يديه إلا بشـــرائط ، فيصطلحان عليها. فيحدث من ذلك الشـرائط الموضـوعة في البيع والشراء ، ويقارب الكرامات ثم المواسـاة وغـير ذلك مما جانسها. وإنما يكون ذلك عند ضـعف كل من كل ، وعند خوف كل من كـل. فما دام كل واحد من كل واحد في هذه الحـال فينبغي أن يتشـاركا. ومـتى قـوي أحـدهما على الآخر فينبغي أن ينقض الشريطة ويروم القهر [1].

أو يكون الاثنان ورد عليهما من خـارج شـيء على أنه لا ســبيل إلى دفعه إلا بالمشـــاركة وتـــرك التغـــالب ، فيتشاركان ريث ذلـك؛ أو يكـون لكل واحد منهما همة في شـــيء يريد أن يغلب عليه ، فـــيرى أنه لا يصل إليه إلاّ بمعاونة الآخر له وبمشـاركة لـه. فيتركـان التغـالب بينهما ريث ذلك ، ثم يتعاندان. فإذا وقع التكافؤ من الفرق بهـذه الأسـباب وتمـادى الزمـان على ذلك ، ونشأ على ذلك من لم يـدر كيف كـان أول ذلك ، حسب أن العـدل هو هـذا الموجود الآن ، ولا يدري أنه خوف وضعف. فيكون مغرورا بما يستعمل من ذاك. فالذي يسـتعمل هـذه الأشـياء ، إما ضـعيف أو خـائف أن يناله من غـيره مثل الـذي يجد في نفسه من الشوق إلى فعله ، وإما مغرور [2].

1) العلاقات بين الأمم تقوم على المسالمة عند تساوي القوى خوفا.
2) العلاقات بين الأمم تقوم على التحالف ضد عدو مشترك.

الباب السادس والثلاثون

القول في الخشوع

وأما الخشوع فهو أن يقال إن إلها يـدبر العـالم ، وإن الروحـــانيين مـــدبرون مشـــرفون على جميع الأفعـــال ، واستعمال تعظيم الإله والصلوات والتسـابيح والتقـاديس ، وان الانســان إذا فعل هــذه وتــرك كثــيرا من الخــيرات المتشوقة في هذه الحياة ، وواظب على ذلك ، عوّض عن ذلك وكوفي بخيرات عظيمة يصل إليها بعد موتـه. وان هو لم يتمسك بشــيء من هــذه ، وأخذ الخــيرات في حياته ، عوقب عليها بعد موته بشرور عظيمة ينالها في الآخرة [1].

فإن هذه كلها أبـواب من الحيل والمكايـدة على قـوم ولقـــــوم؛ فإنها حيل ومكايد لمن يعجز عن المغالبة على هذه الخيرات بالمصالحة والمجاهـدة؛ ومكايد يكايد بها من لا قدرة له على المجاهـدة والصـلابة ببدنه وصـلاحه وخبث رويته ومعاونته بتخويفهم وقمعهم لأن يتركوا

1) الورع والعبادة والزهد في خيرات الدنيا حيل يلجأ إليها من يعجز عن المغالبة.

هذه الخيرات كلها أو بعضها ليفوز بها آخرون ، ممن يعجز عن المجاهدة بأخذها وبالغلبة عليها.

فإن المتمسّـك بهـذه يظنّ به أنه غـير حـريص عليها ، ويظن به الخـير؛ فـيركن إليه ولا يحـذر ولا يتقى ولا يتهم ، بل يخفى مقصده وتوصف سيرته أنها الإلهيـة؛ فيكـون زيّه وصورته وصورة من لا يريد هذه الخيرات لنفسـه؛ فيكـون ذلك سـببا لأن يكـرم ويعظم ويوسل لسـائر الخـيرات ، وتنقاد النفـوس له ، فتحبّه فلا تنكر ارتكـاب هـواه في كل شـيء ، بل يحسن عند الجميع قـبيح ما يعمله ، ويصـير بـذلك إلى غلبة الجميع على الكرامـات والرئاسـات والأموال واللـذّات ونيل الحريّة ، فتلك الأشـياء انما جعلت لهذه.

وكما أن صيد الوحوش ، منه ما هو مغالبة ومجاهدة ، ومنه ما هو مخاتلة ومكايـدة ، كـذلك الغلبة على هـذه الخـيرات أن تكـون بمغالبته ، أو تكـون بمخاتلتـه. ويطـارد بأن يتوهّم الانسان في الظاهر أن مقصده شيء آخر غـير الذي هو بالحقيقة مقصده ، ولا يحـذر ولا يتّقي ولا ينـازع ، فيناله بسهولة.

فالمتمسك بهذه الأشياء والمواظب عليها ، متى كـان إنما يفعل ذلك ليبلغ الشـيء الـذي جعل هـذه لأجله ، وهو المواتـاة بها في الظـاهر ليفـوز باحـدى تلك الخـيرات أو بجميعها ، كان عند النـاس مغبوطـا. فـيزداد بيقين وحكمة وعلم ومعرفة ، جليلا عندهم ، معظما ممدوحا؛ ومتى كان يفعل ذلك لذاته لا لينال به هذه الخيرات ، كان عند الناس مخدوعا ، مغـرورا ، شـقيا ، أحمق ، عـديم العقل ، جـاهلا بحظ

نفسه ، مهينا ، لا قــدر له ، مــذموما. غــير أن كثــيرا من الناس يظهرون مديحته لسخرية به؛ وبعضهم يقويه لنفسه في أن لا يزاحم في شيء من الخيرات ، بل يتركها ليتوفر عليه وعلى غيره؛ وبعضهم يمـدحون طريقته ومذهبه خوفا أن يســلبهم ما عنــدهم على طريقتــه. وقــوم آخــرون يمدحونه ويغبطونه لأنهم أيضا مغرورون مثل غروره [1].

فهـذه وما أشـبهها هي آراء الجاهلة الـتي وقعت في نفـوس كثـير من النـاس عن الأشـياء الـتي تشـاهد في الموجودات. وإذا حصلت لهم الخيرات الـتي غلبـوا عليها ، فينبغي أن تحفظ وتستدام وتمدّ وتزيّد ، فانها إن لم يفعل بها ذلك نفدت.

فقـوم منهم رأوا أن يكونـوا أبـدا بأسـرهم يطلبـون مغالبة آخرين أبدا. وكلما غلبـوا طائفة سـاروا إلى أخـرى. وآخرون يرون أن يمتـدّوا ذلك من أنفسـهم ومن غـيرهم ، فيحفظونها ويدبرونها ، اما من أنفســهم فبالغاية الارادية ، مثل البيع والشراء والتعاوض وغير ذلك ، واما من غــيرهم فبالغلبة ، وآخــرون رأوا تزييــدها في غــيرهم بــالوجهين جميعا [2].

وآخرون رأوا ذلك بأن جعلوا أنفسهم قسمين : قسما يريـدون تلك ويمـدّونها من أنفسـهم بمعـاملات ، وقسـما يغالبون عليهم ، فيحصلون طـائفتين ، كل واحـدة منفـردة بشيء : احداهما بالمغالبة والأخرى

---

1) الحصول على الخيرات يكون بوسيلتين :
1 ـ المغالبة
2 ـ المخاتلة أو المعاملة
2) بعضهم اعتمد المغالبة وبعضهم اعتمد المعاملة.

بالمعاملة الارادية. وقوم منهم رأوا أن الطائفة المعاملة منها هي إناثهم ، والمغالبة هي ذكورهم. وإذا ضعف بعضهم عن المغالبة جعل في المعاملة. فان لم يصلح لا لذا ولا لذاك جعل فضلا. وآخرون رأوا أن تكون الطائفة المعاملة قوما آخرين غير ما يغلبونهم ويستعبدونهم ، فيكونوا هم المتولّين لضرورتهم ولحفظ الخيرات التي يغلبون عليها وامدادها وتزييدها [1].

وآخرون قالوا إن التغالب في الموجودات إنما هي بين الأنواع المختلفة ، واما الداخلة تحت نوع واحد فان النوع هو رابطها الذي لأجله ينبغي أن يتسالم. فالإنسانية للناس هي الرباط؛ فينبغي أن يتسالموا بالانسانية ، ثم يغالبون غيرهم فيما ينتفعون به من سائرها ويتركون ما لا ينتفعون به. فما كان مما لا ينتفع به ضارا غلب على وجوده ، وما لم يكن ضارا تركوه. وقالوا : فإذا كان كذلك فإن الخيرات التي سبيلها أن يكتسبها بعضهم عن بعض ، فينبغي أن تكون بالمعاملات الارادية ، والتي سبيلها أن تكتسب وتستفاد من سائر الأنواع الأخر ، فينبغي أن تكون بالغلبة إذ كانت الأخرى لا نطق لها فتعمل المعاملات الارادية. وقالوا : فهذا هو الطبيعي للانسان. فأما الانسان المغالب فليس بما هو مغالب طبيعيا. ولذلك إذا كان لا بد من أن يكون هاهنا أمة أو طائفة خارجة عن الطبيعي للانسان ، تروم مغالبة سائر الطوائف على الخيرات التي بها ، اضطرت الأمة والطائفة الطبيعية إلى قوم منهم ينفردون بمدافعة أمثال أولئك ان وردوا عليهم يطلبون مغالبتهم ، وبمغالبتهم على

____

1) وبعضهم اعتمد المغالبة والمعاملة معا.

حق هؤلاء ان كـانوا أولئك غلبـوا عليه ، فتصـير كل طائفة فيها قوتـان : قـوة تغـالب بها وتـدافع ، وقـوة تعامل بهـا. وهـــذه الـــتي بها تـــدافع ليست لها على أنها تفعل ذلك بارادتها ، لكن يضطرها إلى ذلك بما يـرد عليها من خـارج. وهـــؤلاء على ضد ما عليه أولئك ، فـــان أولئك يـــرون أن المسالمة لا بوارد من خارج ، وهؤلاء يــرون أن المغالبة لا بوارد من خارج. فيحدث من ذلك هذا الرأي الـذي للمـدن المسالمة [1].

1) رأي يقول إن التغالب يكون بين الأنـواع المختلفة للموجـودات : بين الحيوان والانسان مثلا أما الناس فيربطهم ربـاط الانسـانية ولـذا ينبغي أن يتسالموا.

الباب السابع والثلاثون

القول في المدن الجاهلة

المـــدن الجاهلة ، منها الضـــرورية ، ومنها المبدّلة ، ومنها الســاقطة ، ومنها الكرامية ، ومنها الجماعية ، وتلك الأخرى ، ســوى الجماعية ، إنما همّة أهلها جنس واحد من الغايات. وأما الجماعية فذات همم كثــيرة : قد اجتمع فيها همم جميع المــدن. فالغلبة والمدافعة الــتي تضــطر إليها المـدن المسـالمة ، إما أن تكـون في جمـاعتهم ، وإما أن تكون في طائفة بعينيها ، حتى يكون أهل المدينة طائفتين : طائفة فيها القـــــوة على المغالبة والمدافعة ، وطائفة ليس فيها ذلك. فبهذه الأشـياء يسـتديمون الخـيرات الـتي هي لهم. وهــذه الطائفة ، من أهل الجاهلة ، هي ســليمة النفـوس ، وتلك الأولى رديئة النفـوس لأنها تـرى المغالبة هي الخير ، وذلك بـوجهين : مجاهـدة ومخاتلـة. فمن قـدر منهم على المجاهــدة فعل ذلك ، وان لم يقــدر فبالــدغل والغش والمراياة والتمويه والمغالطة [1].

1) السعادة تقوم بالمغالبة أو بالمخاتلة.

والآخرون اعتقدوا أن هاهنا سعادة وكمـالا ، يصل إليه الانسان بعد موته وفي الحياة الأخرى؛ فـان هاهنا فضـائل وأفعالا فاضـلة في الحقيقة يفعلها لينـال بها السـعادة بعد المـوت. ونظـروا ، فـإذا ما يشـاهدون في الموجـودات الطبيعية لا يمكن أن ينكـــروا ويجحـــدوا؛ وظنّــوا أنهم إن سلموا أن جميعها طبيعي على ما هو مشاهد ، أوجب ذلك ما ظنه أهل الجاهلـــة. فـــرأوا لـــذلك أن يقولـــوا إن للموجودات الطبيعية المشاهدة على هذه الحـال ، وجـودا آخر غير الوجود المشاهد اليوم ، وإن هذا الوجود الذي لها اليوم غير طبيعي لها بل هي مضـادة لـذلك الوجـود الـذي هو الوجـود الطـبيعي لهـا. وإنه ينبغي أن يقصد بـالارادة ، ويعمل في إبطال هذا الوجـود ليحصل ذلك الوجـود الـذي هو الكمـال الطـبيعي ، لأن هـذا الوجـود هو العـائق عن الكمال؛ فإذا بطل هذا ، حصل بعد بطلانه الكمال [1].

وآخرون يرون أن وجود الموجودات حاصل لها اليوم ، ولكن اقــترنت إليها واختلطت بها أشــياء أخر ، أفســدتها وعاقتها عن أفعالها ، وجعلت كثيرا منها على غير صــورتها ، حــتى ظنّ مثلا بما ليس بانســان أنه انســان ، وبما هو انسان أنه ليس بانســان ، وبما هو فعل الانســان أنه ليس بفعل له ، وبما ليس بفعل له أنه فعل له ، حـــتى صـــار الانسان في هذا الوقت لا يعقل ما شأنه أن يعقل ، ويعقل ما ليس شأنه أن يعقل. ويرى في أشياء كثيرة أنها صادقة وليست كذلك ، ويرى في أشياء كثيرة أنها محالة من غـير أن تكون كذلك.

1) السعادة لا تنال في هذه الحياة الدنيا وانما تتحقق بعد الموت أو في وجود آخر ، ولذا ينبغي التخلص من هذا الوجود الدنيوي.

وعلى الــرأيين جميعا ، يــرون ابطــال هــذا الوجــود المشــاهد ، ليحصل ذلك الوجــود. فــان الانســان هو أحد الموجودات الطبيعية ، وإن الوجـود الـذي له الآن ليس هو وجوده الطبيعي؛ بل وجوده الطبيعي وجود آخر غير هــذا ، وهذا الذي له الآن مضـاد لـذلك الوجـود وعـائق عنـه؛ وان الذي للانسان هو اليوم من الوجود فشيء غير طبيعي.

فقوم رأوا أن اقـتران النفس بالبـدن ليس بطـبيعي ، وأن الانســان هو النفس؛ واقــتران البــدن إليها مفسد لها مغيّر لأفعالها ، والرذائل إنما تكـــــــون عنها لأجل مقارنة البــدن لها ، وان كمالها وفضــيلتها أن تخلص من البــدن؛ وأنها في سعادتها ليست تحتاج إلى بدن ، ولا أيضا في أن تنال السعادة تحتاج إلى بدن ولا إلى الأشــياء الخارجة عن البدن ، مثل الأموال والمجاورين والأصدقاء وأهل المدينة؛ وان الوجود البدني هو الذي يحوج إلى الاجتماعات المدنية وإلى سائر الأشياء الخارجـة. فـرأوا لـذلك أن يطـرح هـذا الوجود البدني [1].

وآخرون رأوا أن البدن طـبيعي له ، ورأوا أن عـوارض النفس هي الــتي ليست طبيعية للانســان ، وأن الفضــيلة التامة ، الــتي بها تنــال الســعادة ، هي إبطــال العــوارض وإماتتهــــا. فقـــــوم رأوا ذلك في جميع العـــــوارض ، مثل الغضب والشــهوة وأشــباههما ، لأنهم رأوا أن هـــذه هي أسباب ايثار هذه التي هي خـيرات مظنونة ، وهي الكرامة واليســار واللّــذات؛ وأن إيثــار الغلبة انما يكــون بالغضب وبالقوة الغضبية ،

---

1) النفس تنــال الســعادة بــالتخلص من البــدن والرغبة من الأشــياء الدنيوية كالأموال والأصدقاء.

والتباين والتنـافر يكـون بهـذا ، فـرأوا لـذلك ابطالها كلهـا. وقوم رأوا ذلك في الشـهوة والغضب وما جانسـهما ، وان الفضيلة والكمال ابطالهما [1] وقوم رأوا ذلك في عوارض غير هذه ، مثل الغيرة والشح وأشباههما؛ ولذلك رأى قوم أن الذي يفيد الوجود الطبيعي غير الذي يفيد الوجود الذي لهما الآن؛ ثم إن الســبب الــذي عنه وجــدت الشــهوة والغضب وسائر عوارض النفس ، مضاد للذي أفـاد الجـزء الناطق. فجعل بعضهم أسباب ذلك تضـاد الفـاعلين ، مثل أنبدقليس. وبعضـهم جعل سـبب ذلك تضـاد المـواد ، مثل فرمانيدس في آرائه الظاهرة ، وغيره من الطبيعيين [2].

وغـــير هـــذه الآراء ، يتفـــرع ما يحكى عن كثـــير من القدماء : «مت بالارادة تحي بالطبيعـة». فـانهم يـرون أن المـوت موتـان : مـوت طـبيعي ومـوت إرادي. ويعنـون بـــالموت الارادي ابطـــال عـــوارض النفس من الشـــهوة والغضـــب؛ وبـــالموت الطـــبيعي مفارقة النفس الجســـد. ويعنون بالحياة الطبيعية الكمال والسعادة. وهذا على رأي من رأى أن عـــوارض النفس من الشـــهوة والغضب قسر في الانسان.

والتي ذكرناها من آراء القدماء فاسدة ، تفـرعت منها آراء انبثت منها ملل في كثير من المدن الضالة.

---

1) تنال السعادة بإماتة عوارض النفس من شهوة وغضب.

2) رأي أنبدقليس ورأي برمنيدس فاسدان. أنبدقليس (490 ــ 430 ق م) فيلسوف يوناني قال بمبادىء أربعة للعالم هي الماء والهـواء والنـار والتراب وأنها تجتمع وتفترق بفعل قوتين هما المحبة والكراهية فتتكون الأجسام وتفسد.

أما برمنيدس (540 ـ؟ ق م) فهو فيلسوف يوناني عـرف بقوله بوحـدة الوجود وعدم التكثر.

وآخـــرون ، لما شـــاهدوا من أحـــوال الموجـــودات الطبيعية تلك الـــــتي اختصصـــــناها أولا ، من أنها توجد موجـــودات مختلفة متضـــادة ، وتوجد حينا ولا توجد حينا ، وســـائر ما قلنا ، رأوا أن الموجـــودات ، الـــتي هي الآن محسوسة أو معقولة ، ليست لها جـــواهر محـــدودة ، ولا لشــيء منها طبيعة تخصه ، حــتى يكــون جــوهره هو تلك الطبيعة وحدها فقط ، ولا يكـون غيرها ، بل كل واحد منها جـوهره أشـياء غـير متناهية [1]–، مثل الانسـان مثلا؛ فـان المفهوم من هذا اللفظ شيء غير محدود الجــوهر ، ولكن جـــوهره وما يفهم منه أشـــياء لا نهاية لهـــا. غـــير أن ما أحسسـناه الآن من جـوهره هو هـذا المحسـوس ، والـذي عقلنا منه هو هـذا الـذي نـزعم أن نعقله منه اليـوم. وقد يجوز أن يكون ذلك شيئا آخر ، غير هذا المعقول وغير هذا المحســـوس. وكـــذلك في كل شـــيء هو الآن ليس هو موجـودا ، فـان جـوهره ليس هو هـذا المعقـول من لفظه فقط ، لكنه هـــذا وشـــيء آخر غـــيره مما لم نحسه ولم نعقله ، مما لو جعل ذلك مكان هذا الـذي هو الآن موجـود لأحسسناه أو لعقلناه. ولكن الذي حصل موجـودا هو هـذا؛ فـــان لم يقل قائل إن الطبيعة طبيعة المفهـــوم من كل لفظ ، ليس هو هـذا المعقـول الآن ، لكنه أشـياء أخر غـير متناهية ، بل قال إنه هذا ويجوز أن يكون غير هـــذا مما لم نعقله ، فلا فرق في ذلك؛ فان الذي يجوز ويمكن إذا وضع موجودا لم يلزم منه محال. وكذلك في كل ما عندنا أنه لا يجوز غيره أو لم يمكن غيره ، وقد يجوز أن يكون غـــيره ، وأنه ليس الذي تلزم ضرورة عن تضعيف ثلاثة ثلاث

---

1) مذهب الشك.

مرات وجـود التسـعة ، بل ليس جـوهره ذلـك. لكن يمكن أن يكــون الحــادث عن ذلك شــيئا آخر من العــدد ، أو ما اتفق من سائر الموجودات غـير العـدد ، أيّ شـيء اتفق ، أو شـيئا آخر لم نحسه ولم نعقله ، بل قد يمكن أن يكـون محسوســـات ومعقـــولات بلا نهاية ، لم تحس بعد ، ولم تعقل ، أو لم توجد فتحس أو تعقـل. وكـذلك كل لازم عن شـيء ما ، فانه ليس انما يلـزم لأن جـوهره ذلك الشـيء ألزم ذلك ، بل لأنه هكذا اتفق ، ولأن فاعلا من خـارج ذلك الشـيء كـون الآخر عنـده أو في زمـان كـون ذلك أو عند حال من أحواله. فانما حصول كل موجـود الآن على ما هو عليه موجــود ، إما باتفــاق ، وإما لأن فــاعلا من خـــارج أوجــدهما ، وقد كــان يمكن أن يحصل بــدل ما يفهم عن لفظ الانسـان شـيئا آخر غـير ما نعقل اليـوم؛ وشـاء ذلك الفاعل أن يجعل من بين تلك ، التي كـان يقـدر أن يجعلها هذا المعقول؛ فصرنا لا نحس ولا نفهم منه غير هذا الوجه أحدا. وهذا من جنس رأي من يـرى أن كل ما نعقل اليـوم من شيء ، فقد يمكن أن يكـون ضـده ونقيضه هو الحـقّ؛ الا أن اتفق لنا أوكد أن نجعل في أوهامنا أن الحق هو هذا الآن الذي نرى ، أن المفهوم من لفظ الانسان ، قد يمكن أن يكون شيئا آخر غير المفهوم منه اليوم ، ، وأشياء غــير متناهية. على أن كل واحد من تلك هو طبيعة هـذه الـذات المفهومة ، وأن تلك إن كـانت هي وهـذا المعقـول اليـوم شيئا واحدا في العدد ، [فليس المعقول اليوم شيئا واحــدا في العدد] ، وليس المعقول من لفظ الانسان بشـيء آخر غـير هـذا المعقـول اليـوم. فـان كـانت ليست هي واحـدة بالعدد بل كثيرة مختلفة الحدود ، فاسم الانسان يقال

عليهما بالاشتراك؛ وان كـانت مع ذلك مما يمكن أن يظهر في الوجـود معا ، كـانت على مثـال ما يقـال عليهما اسم العين اليوم ، ويكـون أيضا أشـياء بلا نهاية في العـدد معـا؛ وإن كانت مما لا يمكن أن يوجد معا ، بل كـانت تتعـاقب ، فهي متضـــادة أو متقابلة في الجملة ، وإن كـــانت متقابلة وكانت بلا نهاية أو متناهية ، لزم أن يكون كل ما عنـدنا أنه لا يجـوز غـيره أو نقيضـه؛ فانه يمكن أن يكـون نقيضه أو ضده أو مقابله في الجملة هو أيضا حق : إما بـدل هـذا أو مع ضده. فيلزم من هذا أن لا يصح قول يقـال أصلا ، وان يصح جميع ما يقال ، وان لا يكون في الكون محـالا أصـلا. فانه إن وضع شيء ما طبيعة شيء ما ، جاز أن يكون غير ذلك الذي يفهم على لفظه اليوم. وطبيعة شـيء ما مما لا ندري أي شـيء هو مما يمكن أن يصـير موجـودا ، فيحس أو يعقل ويصـير مفهومـا؛ ولكن ليس هو معقـولا عنـدنا اليوم. وذلك الذي لا نـدري الآن أي شـيء هو ، وقد يمكن أن يكون ضده أو مقابله في الجملة ، فيكون ما هو محـال عندنا ممكنا أن لا يكون محالا.

وبهـذا الـرأي وما جانسه تبطل الحكمة ، وتجعل ما يرسم في النفوس أشياء محالة على أنها حق؛ بأنها تجعل الأشـياء كلها ممكنة أن توجد في جواهرها وجـودات متقابلة ووجـودات بلا نهاية في جواهرها وأعراضـها ، ولا تجعل شيئا محالا أصلا.

[تم الكتاب بعون رب الأرباب]

الفهرس